كنا فى زمن .. أحباب

.. يوميات امرأة مطلقة

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: **الحلوة**

التقنية: **ألوان جواش على ورق**

المقاس: ٢٨×٣٤سم

هبة عنايت

فنان تشكيلى مصرى، درس الفن فى مصر والصين، وعمل بمؤسسة روزاليوسف ومجلة صباح الخير، وهو فنان غزير الإنتاج، يهتم بأدق التفاصيل والتعبيرات، إلى جانب كونه صاحب مجموعة لونية خاصة، وريشة متفردة. وفى اللوحة المنشورة اهتمام خاص بتسريحة الشعر، ولون العينين، ودقة النظرة، وفتحة الفم مع إبراز نصاعة بياض الأسنان، ولون الفستان الأخضر، وتفصيلات التطريز، والسوار.

محمود الهندى

كنا فى زمن .. أحباب
.. يوميات امرأة مطلقة

روايتان قصيرتان

زينـــب صــادق



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

كنا فى زمن .. أحباب
و يوميات امرأة مطلقة
روايتان قصيرتان
زينب صادق

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : **محمود الهندى**
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

الفصل الأول

أمينة : «كانوا مجموعة من الاطفال يلعبون لعبة ساذجة من تلك الألعاب التى كنا نلعبها فى زمن طفولتنا ، وجهان لطفلين اعرفهما جيدا ، وجه أخي ووجهي ، كنت كبيرة اتفرج عليهم ، وطفلة العب معهم ، افسد الطفل الذى فى وجه أخي اللعبة ، وبكت الطفلة التى فى وجهي . .

وجرى بقية الاطفال» .

●●●

أمينة :« عندما أمر الأن من هذه المنطقة على كورنيش النيل ، وانظر إلى الشجر العريق القديم ، اتذكر وجه الرجل الطيب الذى كان يعمل ساعيا لأبى فى عمله ، كان يأتى إلينا من وقت لآخر ، واهلل مع أخي لأنه ياخذنا ويفسحنا .

كان يسحبنى من يد ويسحب أخي من يد ليعبر بنا الشارع الكبير والميدان الفسيح ، ولايترك يدينا الصغيرتين إلا عندما نصل إلى هذه المنطقة من كورنيش النيل ، بقامته الطويلة كان يقطف لنا أوراق الشجر العريق من الفروع القريبة ، وكان أخي يلصق الورقة بالورقة بأعواد الكبريت الخشبية المستعملة فى البيت ويصنع منها تاجا لى وتاجا له ، نرتديهما على راسينا فرحين كاننا ملك وملكه متوجين ، نلعب على شاطئ النهر والرجل يراقبنا حتى لا نجرى تجاه النيل ،

ويشترى لنا بالقروش التى يعطيها له أبى.. سميطا ودقة.. ويتحدث بلهجة صعيدية مع بائع السميط نطرب لها، وعند الغروب يعود بنا من هذه الفسحة.

عندما امر الآن من هذه المنطقة وتأتى إلى عينى صور تلك الذكريات الصغيرة وأحيانا تأتى أيضا الدموع.. اتساءل كيف انقلب هذا الطفل الوديع المرح إلى اسد ردئ انقاد إلى لبؤة شرسة علمته الشراسة وانسته ما كان عليه فى الزمن القديم؟!».

•••

أمين وامينة، اسماهما منذ طفولتهما ملتصقان كأنهما اسم واحد، فهما منذ طفولتهما ملتصقان ببعضهما، لقد كان والدهما سالم بك متزوجا وله ثلاثة ابناء ماتت زوجته وأكبرهم كان فى الخامسة عشرة من عمره، وأصغرهم فى العاشرة، وكانت أم أمين وأمينة فى ذلك الوقت مطلقة لأنها لم تنجب لزوجها، دلوه المعارف عليها ليتزوجها وترعى ابناءه ولن تنجب لهم اشقاء.

وهكذا تزوجها واحتضنت أبناءه بحب حقيقى ورعاية تعوضها عن حرمانها من الإنجاب، لكنها بعد عامين من الزواج كانت المفاجأة أنها انجبت أمين، ثم انجبت أمينة فى العام التالى، ربما لم يفهموا فى ذلك الزمن احتمال عقم الزوج، وكان الاتهام يقع على الزوجة لعدم الإنجاب،

لم تنقلب الأم على اولاد زوجها بعد أن أنجبت طفلين، بل زادت عنايتها بهم، وقد أحبوا بدورهم الطفلين خصوصا الطفلة، البنت الوحيدة وسطهم، الطفلان أحبا أخواتهم الكبار، ولم يعرفا انهم من

أبيهم فقط إلا بعد أن وصلا إلى المرحلة الثانوية من دراستهما ، ولأن فارق العمر كان كبيرا بين الاشقاء الثلاثة والطفلين، فكانا ملتصقين في لعبهما وخروجهما واصدقائهما ، أمين مع أمينة وهي مع صديقاتها ، وأمينة مع أمين وهو مع اصدقائه ، وكان الذى لا يعرفهما يظن أنهما توأم تخلقا في مشيمتين وليست مشيمة واحدة فهما ليسا متشابهين، أمين يشبه الأب بملامحه وسمرة وجهه ، وأمينة تشبه الأم بملامحها وبياض وجهها .

على الرغم من أن سالم بك كان يحب كل ابنائه إلا أنه لم يخف حبه الزائد لابنته الوحيدة .

لقد أخذ سالم بك لقب البكوية من افواه الناس وليس بتأشيرة من الملك فاروق ، أو بتوصية من الحكومة ، أخذ هذا اللقب لمظهرة الوقور وثقته في نفسه ، ولأنه كان كبير السكان في العمارة ، التي يسكنها مع أسرته ، كانوا يلجأون إليه لحل مشاكلهم سواء في أسرهم أو مع أى عطل يحدث في شققهم أو . . في المصعد ، حتى خيل للغرباء إنه صاحب هذه العمارة الفخمة الواقعة في شارع مهم قريب من الحى التجارى وسط المدينة ، وتطل من جهة على أكبر ميدان في العاصمة في ذلك الوقت ، وكان صاحب العمارة الأصلي يسكن في مكان آخر فكان هو الآخر يلقي بمسئولية العمارة على كبير سكانها سالم بك .

كان الاجانب يفضلون السكن في هذه المنطقة ، وكانت بعض الأسر الأجنبية تسكن في هذه العمارة تؤجر الشقق من أصحابها ، وربما كانت بداية الشقق المفروشة في تلك السنوات التي تلت الحرب

العالمية الثانية فى الأربعينيات من القرن العشرين، وفى مكان مثل فناء بين هذه العمارة وعمارة مجاورة كان أطفال العمارتين يجتمعون فى أيام الأجازات المدرسية ويلعبون معا تلك الالعاب الساذجة التى كان الأطفال يلعبونها فى ذلك الزمن.

كان أمين وأمينة ضمن هؤلاء الاطفال، ومنذ طفولته وأمين له قدرة فائقة على التقاط اللغات الأجنبية، فكان يلتقط كلمات من طفل الأسرة الإنجليزية، وكلمات من طفلة الاسرة اليونانية، ويفهم معنى الكلمات بلغة الإشارات ويسأل عن كل اسم لشئ يقع عليه نظره، وكانت أمينة مبهورة بنطقة للغات مختلفة وتتعلم منه، ربما رسخ فى نفس أمين إعجاب شديد بالأجانب ولغاتهم وحياتهم منذ كان طفلا، وقد ظهر هذا الإعجاب بوضوح عندما عاد عمه من إنجلترا فى أواخر الاربعينيات يحمل شهادة دكتوراه فى يد وزوجته إنجليزية فى يده الأخرى، عندما سمعت المرأة الإنجليزية ذلك الصبى النحيف القصير يحدثها ببضع كلمات إنجليزية تعلقت به واحبته، وكانت تطلب من زوجها أن يحضر هذا الصبى اللطيف ليمكث معهما يوما أو يومين فى الأجازات المدرسية، ولأن الطبيب الإنجليزى قد أخبرها أنها لن تنجب فقد كان زوجها يلح على أخيه أن يسمح لابنه أمين أن يمكث معه عدة أيام.

أحب أمين عمه وزوجته، فقد لاقى تدليلا فى بيتهما لم يجده فى بيت أسرته، وكان عمه يشترى له الملابس والكتب الدراسية المساعدة، ويستذكر له خصوصا عندما وجده يميل إلى العلوم مثله،

وعندما وصل أمين إلى المرحلة الثانوية طلبه عمه صراحة أن يعيش معه، فمن ناحية الولد كبر ويستطيع أن يذهب إلى المدرسة وحده، وثانيا فهو سيساعده فى المذاكرة، وثالثا وهو الاهم سيخفف عن أخيه عبء مصاريفه خصوصا أن ابناءه الكبار تخرجوا فى الجامعة ويطلبون الاستقلال بحياتهم، الواحد وراء الأخر يبحث عن زوجة ويطلب مصاريف للزواج.

كانت أمينة تفتقد أخاها عندما كان صبيا ويمكث عدة أيام عند عمه، وعندما يعود تلتصق به، تحكى له وتستمع منه، واصبحت تكره ايام الأجازات لأن أمين يذهب إلى عمه فى معظمها، وعندما قرر الحياة مع عمه أو. . . قرر عمه أن يأخذه للحياة معه بكت فى صمت، شعرت بحرمان من أخيها صاحبها وصديقها المقرب، وكان ذلك أول حرمان منه.

• • •

أمينة: «كنت أخفى ضيقى من بعد أخى عنى لأنه اقرب إلى من أخوتى الكبار، فهو ليس فقط قريبا منى فى العمر، لكنه قريب من افكارى، كنا نقرأ معا الروايات البوليسية والقصص الساخرة والمجلات الضاحكة، وفى السنوات التى كان يعيشها مع عمى كنت عندما أخرج معه لنلتقى باصدقائنا وصديقاتنا أو نذهب إلى سينما أو مسرح كان يوصلنى إلى باب منزلنا ويذهب بالسيارة الأجرة إلى بيت عمى، كنت أتضايق فى تلك اللحظات، وكثيرا ماكان ضيقى ينفجر فى وجهه على اشياء تافهة، وليس على السبب الاساسى وهو بعده عنى وحرمانى من صحبته».

• • •

كان أمين في أول حياته مع عمه لا يشعر بالتشتت الذهني أو العاطفي، فهو يحب عمه وزوجته وعاطفتهما منصبة عليه وحده، أما في بيت أهله فعاطفة الوالدين مقسمة بين أربعة أبناء وبنت، وكل مطالبه مجابة من عمه، لا ينتظر دوره في شراء الملابس وما يحتاجه، لكنه بدون أن يدرى كان يشعر بتشتت، فأمه كانت تحب أن تراه كل يوم، وكذلك أمينة أخته، كان يذهب لرؤيتهما عند عودته من المدرسة الثانوية ويتناول الغداء مع أسرته، وإذا كانت أمينة تريد أن تخرج إلى مشوار وتريده معها، وعندما التحق بالجامعة كان يحرص على الذهاب صباحا إلى بيت اهله ويتناول طعام الإفطار مع أخته ويذهبان معاً إلى الجامعة.

عندما خلى بيت أهله من اخواته الكبار، فقد تزوج الكبيران، وسافر الثالث، بدأ يشعر بالذنب تجاه اخته لأنها اصبحت وحدها مع والديه اللذين كبرا، فقسم ايام الاسبوع بين بيت عمه وبيت الوالدين، وبالرغم من أنه درس علم الجيولوجيا في كلية العلوم بناء على رغبة عمه، وبالرغم من أنه أحب دراسته إلا أن حبه لمعرفة اللغات دفعه لدراستها في معاهد متخصصة، وقد تعلم اللغة الالمانية في المعهد الالماني، واللغة الفرنسية في المعهد الفرنسي، بجانب إتقانه للغة الإنجليزية، بشهادته العلمية، ومعرفته باللغات فتحت له أبواب العمل، لكن لابد من زيادة تخصصه حتى يضع امام جيولوجي حرف الدال، وحتى يزداد الإقبال عليه في العمل، وتزداد سفرياته

إلى المناطق الصحرواية والجبلية في بلاد وطنه، ومن يريد خبرته في مختلف الأوطان.

احلام كثيرة راودته، لكن المهم أن يحصل على الدكتوراه، ربما لم يجد الوقت الكافي لتحضير مثل هذه الشهادات العليا بعد تخرجه مباشرة، وربما كان كسولا إلى حد ما، وربما هواياته كانت تعطله، فهو منذ صباه وهو متعلق بهوايتي الموسيقى والنساء.

الموسيقى كانت تجعل تحليقه في الأحلام والخيال اكثر من تحقيقه لأماله. والنساء يشغلن وقته ويبددن حيويته، ويلوين تفكيره عن مستقبله العملي والعلمي إلى التفكير كيف يفوز بهن!!

في صباه كان يقع في حب صديقات أخته وبنات الجيران، وفي الجامعة أحب زميلتين خطفهما منه زميلان أخران، وفي السنين الأولى لعمله خطب فتاتين بعد قصص حب وفشلت الخطبتان، وكان ينسى حزنه وفشله في الموسيقى والسفر عن طريق عمله؛ وأصبحت كثرة سفرياته إلى الصحارى ومناطق الجبال من عوامل تعطيله عن حصوله على نيل الشهادات للفوز بحرف الدال، وعلى الرغم من أن أمينة تعودت على غياب أخيها، وبالرغم من انها لم تعد تفاجأ به وهو يعد حقيبة سفره، إلا أن كثرة رحلاته كانت تقلقها، فهو يسافر إلى مناطق صحراوية أو جبلية وعرة، وكانت تخاف عند سفره الا يعود. وتدعو كل ليلة قبل أن تنام أن يعود أخوها سالما، وكانت أول رحلة طويلة قام بها امين في شكل منحة عملية لبلد أوروبي شرقي، وقال وقتها لأخته فرحا إنه ربما يجد فرصة هناك لتحضير رسالاته العلمية،

لكنه عاد بعد عام من تلك الرحلة بدون أن يحضر شيئا . . لا يهم المهم انه عاد بحقائبة إلى بيت والديه وليس إلى بيت عمه ،

• • •

أمينة : «فرحت لعودة أمين للحياة معنا ، ان يذهب لعمه فى نهاية الاسبوع فقط ، وقررنا ان نشترى أشياء جديدة لبيتنا ونساهم معا فى مصاريف البيت ، فوالدنا قد خرج من سنين إلى المعاش ، ونقص دخله ولم يعد يجدد فى البيت كما كان يفعل من زمن» جددنا تنجيد حجرة المعيشة والصالون واشترى أمين مكتبا جديدا ومكتبة استعدادا لتحضير شهاداته العليا ، وتخيلت ان الحياة ستسير بنا جميلة وهادئة ، وأخواتنا الكبار انشغلوا بحياتهم الخاصة ، وكانوا يزوروننا فى أوقات متباعدة مع زوجاتهم وأبنائهم ، وكان تباعد اخواتنا الكبار عنا يزيد من تقاربنا خصوصا عندما بدأت صحة والدينا تضعف ونقوم معا بالعناية بهما ، لكنى لم أكن أدرى أن أمين كان متذمرا من حياته معنا أو . . ربما كنت اتجاهل ذلك الإدراك ، كان يشكو من أبى كثيرا . . ويتضايق من أسلوب الكبار فى الحياة ، وكان دائم المقارنة بين حياته مع عمه وزوجته الإنجليزية وحياتنا ، مع اننى كنت احرص على تقديم الشاى الساعة الخامسة كما يفعل الإنجليز حتى لا يشعر بالفرق بين ما كانت تقدمه له زوجة عمه وما نقدمه له ، وكنت احرص على شراء الحلوى لأقدمها مع الشاى ، لكنى لم أفهم فى ذلك الوقت انه ليس مجرد الشاى الساعة الخامسة ، إنها حياة مختلفة تماما . . ومع ذلك كنت مع أخى فى زمن السعادة التى لم يعكرها شئ بعد . . زمن التقارب والمحبة» .

الفصل الثاني

أمينة : «شاهدت أمين ولا أدرى هل تحدثت معه أم . . لا . . قلت فى نفسى أنه وحشنى جدا ولابد ان أتصل به ليزورنى كما وعدنى ولم يفعل . . قلقت من نومى . . وأنا بين النوم واليقظة قلت لابد أن اتصل به في الصباح . . وأدركت فجأة ان هذا غير ممكن . . فقد ذهب أخى إلى رحلته الأخيرة ولن يرجع» .

• • •

بعد رحيل الأب قال الابن الأكبر لأخيه الأصغر أمين أنه أصبح رجل البيت ، وعليه أن يعتنى بأمه وأخته فهما امانة فى عنقه ، وكان رد أمين عليه مفاجأة ، فقد قال أنهما حبل حول عنقة ليخنقة ، صدم الأخ الأكبر بذلك الرد ، وقال أن أخته أمينة كبيرة ولها عملها ومرتبها ، وامه لها معاشها يعنى لن تكونا حبلا لخنقه من الناحية المادية ، ووعده إذا احتاج لأى مصاريف زائدة سيدفعها له ، فقال أمين منفعلا : إنهما يعطلان زواجه ، فكلما أحب فتاه وتقدم لخطبتها ، وتعرف أنه يعيش مع أمه وأخته ، وعليها ان تعيش معهما ترفض ، وهو لن يستطيع بدخله أن يهيئ شقه لنفسه ، ساله الأخ الأكبر ان يخبره بأمانة كم فتاة رفضته لهذا السبب ؟ ! فقال بعد صمت : آخر واحدة .

والحقيقة التى أنكرها أمين أن خطيبته الاخيرة لم تتركه بسبب أمه وأخته فقد أحبت أمه وصادقت أخته، لكنها تركته لأنها لم ترتح معه، وقد صرحت لأخته بهذا عندما حاولت أن تصلح بينهما، حاولت أمينة أن تسرى عن أخيها بأن يهتم بالشهادات العليا التى يريد أن ينالها، وقالت له أمه كلمات بمعنى أن خيرها فى غيرها، لكنه اعتقد أنهما لايريدانه أن يتزوج ليبقى معهما فى البيت، وزاد الشك فى أخته فلماذا عندما تقدم لإحدى صديقاتها لم تساعده؟! والحقيقة أن صديقات أمينة كن يعاملن أمين كأخ لهن ورفضته تلك الصديقة بضحكة عذبة، وكيف تتزوج من أخيها؟! وقد فرح أمين بخطوبة أخته، خصوصا عندما اخبرته انها ستأخذ الأم لتعيش معها، وعندما فشلت خطوبة أمينة شعر أن الحبل لن ينزاح من حول عنقه وقرر أن يعيش حياته فى البيت كما لو كانتا غير موجودتين!! .. لم يكرههما تماما، فكانت تتنازعه عاطفتا الحب والكراهية، الاثنان معا، كما كان يخاف عليهما ويخاف منهما!!

عندما كان يدعو صديقة له فى البيت كان يقوم بمقدمات لأمه وأخته، من تصرفات محبة ولطيفة، وتأتى الصديقة ليغلق عليهما باب حجرة مكتبة بحجة أنهما يقومان بأبحاث معا، وقبل أن يحضر فتاة ألمانية إلى البيت قال لأخته: إن الفتيات المصريات معقدات، ولن

يجد واحدة مثلها سوية ، لذلك قرر أن يصادق اجنبيات ، فهو يتعرف عليهن فى سفرياته إلى الصحارى وبلاد الجبال ، كما أنه لم ينقطع عن نشاطات معاهد اللغات التى تعلم فيها ، وقد دعا الفتاة الالمانية لتمضى عدة أيام معه فى البيت بدلا من الفندق الرخيص الذى تنزل فيه ، ووافقت على دعوته ، وأخبر امه واخته أنه سيتزوجها ويريدها أن تعيش معهم وتتعرف عليهما ، وعلى حياته قبل أن تقرر الزواج منه . وجاءت الالمانية إلى البيت ، وربما لم تكن فى نيتها فكرة الزواج وكانت تريد أن تمضى فترة أطول فى القاهرة بدون أن تدفع شيئا ، أعدت لها أمينة حجرة كانت لإحد إخواتها الكبار ولم يستخدموها ، كانوا يضعون فيها الاشياء غير اللازمة ، لكنها كانت تجدها تخرج من حجرة أخيها أمين فى الصباح ولا يبدو عليها أى حرج عندما تجد أخته امامها !

عندما علم الاخ الأكبر بوجود الالمانية فى البيت تحدث مع أمين معاتبا انه لا يصح أن يفعل هذا بوجود امه وأخته . . رد عليه أمين ببرود الا يتدخل فى شئونه ، وان أمه وأخته راضيتان بهذا الوضع . ولم يكن هذا صحيحا ، فهو لم يأخذ موافقتهما على استضافة الالمانية فى البيت ، بل اتهمهما انهما عاملتا الالمانية معاملة سيئة ، لذلك هى سافرت ولم ترسل له موافقتها على الزواج او . . حتى كلمة

شكر. ردت عليه أمه أمام هذا الاتهام أن هذه البنت تربية شوارع، غضب أمين وهددهما بأنه سيتركهما ويعود ليعيش مع عمه، وغاص قلب امينة.

●●●

أمينة :« بالرغم من إعجاب أمين بالأجنبيات منذ صغره فقد كنت الاحظ انه يفضل اللعب مع البنت الجريكية ونحن صغار، وإعجابه بحياة الأجانب بعد أن عاش فترة زمن مع عمى وزوجته الإنجليزية، إلا إنه كان وطنيا، وكان منظره مسليا وهو طفل يرتدى البنطلون القصير ويهتف من شرفة بيتنا مع المظاهرات فى الطريق.. الجلاء بالدماء.. وكان يردد الأغانى الوطنية وهو صبى.. اسلمى يامصر.. و.. كل مصرى ينادى.. قلبى يمين لسانى..و.. روحى فداء أوطانى.. واثناء حرب يونية ٦٧ كان حاقدا على الأمريكان لمساعدتهم لإسرائيل ضدنا، وتطوع وقتها فى المقاومة الشعبية، وكنت اخفى تطوعه هذا عن والدى، واخفى هلعى لمجرد تصورى انه بجسده النحيل يحمل مدفعا أو بندقية.. وإن كان لم يستخدم شيئا من هذا القبيل، بل كان فى ورديات حراسة لمكان عمله مثل كل العاملين فى المصالح والمؤسسات الحكومية وقت الحرب.

ولا انسى فرحتنا معا أثناء حرب اكتوبر ٧٣ عند أول بيان لعبور

قواتنا قناة السويس وتحطيم خط بارليف، لذلك تعجبت بشئ من الصدمة عندما أخبرنى انه اشترك فى الترحيب بالرئيس الأمريكى -نيكسون- وكانوا يحملون لافتات الترحيب به باللغة الإنجليزية، وكان أمين فخورا بالاشتراك فى حمل بافطة تعبر عن ثقتنا فى نيكسون، قلت له بذهول : إذا كان شعبه لا يثق فيه فكيف نثق فيه نحن؟! قال أخى بثقة افزعتنى : إن الخلاص والمستقبل فى أمريكا!!..

وقد سالتنى أمى يومها عن تلك الضجة التى فى الطريق، قلت لها : إن نيكسون جاء وخرج الناس يرحبون به.. سألتنى مستفسرة عن ذلك الترحيب، قلت ساخرة انهم يعتقدون ان الطائرات الامريكية ستلحق به محملة بالفراخ والسمن والسكر والهامبورجر، فقالت أمى جملة بليغة- جتهم نيلة-قلت لها أن أمين كان فى استقباله ايضاً، هزت رأسها وصمتت.

كان ذلك اثناء زيارة نيكسون لبلدنا بعد حرب ١٩٧٣ وقد استقال بعدها مباشرة بسبب الفضيحة السياسية المشهورة - ووترجيت -.

اعتقدت لفترة زمن أن أخى اقتنع بعدم جدوى حب الأجانب أو الثقة فيهم، لكنى فوجئت به مع امرأة فرنسية كبيرة فى كافيتيريا فندق، وكنت هناك مع مجموعة من صديقاتى، قدمها لنا ولم يسلم

من تعليقاتهن الساخرة فهن أيضا صديقاته، وقال لنا بجدية أنه سيفهمنا الوضع فيما بعد.. وكان ذلك الوضع الذى جعلنى افهمه أنا وأمى بعد ذلك أن تلك المرأة الكبيرة ثرية جدا وتقوم بعمل أبحاث فى المعهد الفرنسي للآثار الموجود فى بلدنا، ولما علمت بدراسته وعمله فى علم الجيولوجيا اخبرته ان هذا العلم يحتاجونه فى عمل حفرياتهم للبحث عن الآثار، واقنعته بترك عمله والانضمام إليهم، رجوته الا يترك عمله فربما لا يتوافق مع العمل الجديد، وأننى لن استطيع تحمل نفقات بيتنا وحدى، وان معاش أمى لا يكفى سوى أدويتها المستديمة، ولن نتسول قوتنا أو ما ينقصنا من إخواتنا الكبار، جعلنى أمين أصدق أننى نبهته إلى شئ هام هكذا.. لكنه فى الحقيقة كان قد دبر أخذ اجازة من عمله والسفر مع السيدة الفرنسية إلى فرنسا.

لم تكن السيدة الفرنسية سخيفة أو متعجرفة أو.. بلا حياء مثل الألمانية التى استضافها أخى لعدة أيام فى بيتنا، فكانت تتودد لأمى.. ولى ولا تبيت فى بيتنا.. فكانت تسكن فى شقة مفروشة فى حى راق قريب من بيتنا، وكان أخى يبيت عندها أحيانا، يطلبنى فى الليل ويعتذر لى عن تأخروأنه سيضطر أن يبيت مع الفرنسية، أحيانا لأنها مريضة وتحتاج من يرعاها.. وأحيانا لأن بينهما بحثا يتناقشان

فيه، وعندما أخبرني بسفره معها شرح لى كيف أذهب وأستلم مرتبه لمدة ثلاثة أشهر، بعدها سيقرر إذا كان سيبقى في فرنسا لعمل شهاداته العليا ويأخذ أجازة طويلة من عمله، أو يعود، تمنيت ان تغضب عليه المرأة الفرنسية ولا تصحبة معها، تمنيت الا يوافقوا، على اجازته من عمله، ولما لم تتحقق امنياتى قلت له: إن الذى يريد أن يعمل شهادات عليا يقوم بعملها في بلده.. وصرخ في وجهى.. كيف يقوم بعمل دراسات جادة وابحاث ونحن جميعا نعطله، سواء كان أبي وأمي وحتى عمه وأنا.. وكيف كان أبي يفضلني عليه ولا يطلب مني طلبا من طلباته السخيفة ويطلبها منه هو، وأنه طول ماهو موجود معنا لن يحقق احلامه.. صمت للمفاجأة، لأول مرة منذ طفولتنا وصبانا وشبابنا معا أشعر أنه يحقد على أو يكرهني، وخاصمته.. وجاء بعد عدة أيام ليصالحني ويعتذر لى أنه كان متعبا. قلت له يائسة أن يفعل مايريد أن يفعله ويجده صالحا له، ولا داعى لكراهيتى هكذا.. فاقسم انه عمره ماكرهنى».

●●●

لم تطل إقامة أمين في فرنسا وعاد بعد شهرين ناقما على المرأة الفرنسية والفرنسيين، فقد وجد ان المرأة ليس لديها النفوذ القوى الذى حدثته عنه، ولم تستطيع ان تحصل له على المنحة الدراسية التى

وعدته بها، وخلال شهر من الشهرين وابنتها واحفادها الثلاثة يقيمون معهما في شقة باريس لأن ابنتها تعيش في بلد أخر، وكان لديها عمل في باريس فتركت زوجها حيث عمله وعاشت مع أمها وأمين، وإذا كان أحب الإطفال وكان يلعب معهم واحبوه إلا إنه وجد إنه قد خدع في توقعاته وكانت نقوده على وشك الانتهاء ففضل ان يعود.. وكان يوما مبهجا لامينة عندما ذهبت إلى المطار مع أحد إخواتها الكبار لإستقبال أخيها أمين.

لم يخبر أمين إخواته الكبار عن خيبة امله في فرنسا، بل قال لهم انه اطلع على شروط المنحة التي عرضت عليه ولم تعجبه، كذلك نوع الأبحاث التي يريد أن يعمل دراسة فيها ليست متوافرة وغير مشجعة!! وأخبر امينة أن أخر شئ كان يتوقعه من السيدة الفرنسية هو رغبتها في الزواج منه، وكانت تبحث له عن عمل ليقيم معها في فرنسا، لكنه لا يفضل الإقامة الكاملة في أرض غير أرضه، وبين ناس ليسوا ناسه.. فرحت امينة بتلك العبارات التي قالها اخوها، واعتقدت للمرة الألف انه لن يصادق اجنبيات بعد ذلك وسيهتم بعمله وسيتم عمل رسائله العلمية لينال شهاداته العليا من بلده ،فقد مر خمسة عشر عاما على تخرجه وعمله، ولم ينجز ما يتمنى إنجازه.. وقد ارتاحت أمينة إلى حد ما عندما وجدت أخاها ينظم

حجرة مكتبه ويخرج أورقا كثيرة يعبث بها عندما يعود من عمله، ولم تعد تعترض على زائرات أخيها، وكذلك الام لم تعد تعلق على تلك الزيارات، وقالت الام لابنتها انهما تحتاجان إلى هذا الخنيث فى البيت فهو على أية حال رجلهما وعليهما بالصبر إلى أن يهديه الله ويتزوج.

وكانت بعثة من علماء وعاملين من الامريكان جاءوا لعمل ابحاث عن ارض فى صحراء جنوب البلاد، واختارت المؤسسة التى يعمل بها أمين سفرة مع تلك البعثة، كان بينهم استاذ كبير فى علم الجيولوجيا أعجب بذكاء أمين وخبرته، ولما علم منه انه لايجد الوقت لعمل ابحاثه وشهاداته العليا، وعده الأستاذ بالمساعدة، وان الجامعة الامريكية التى يعمل بها هذا الاستاذ هى افضل مكان له.. سافر الاستاذ عائدا إلى بلده، ولم يتصور امين انه سيوفى بوعده له، لذلك كانت فرحته غامرة عندما ارسل له يخبره أن أوراقه قبلت فى الجامعة وأيضا أبحاثه، وعليه أن يسافر إليه فى الولاية التى بها الجامعة خلال شهر.

قال أمين هذا الخبر لأمه ولأخته وهو يقفز بالفرحة، تكدرت الأم وغاص قلب أمينة، سألهما لماذا واجمتان؟! هل تريدانه أن يلتصق بهما طول عمره؟! يترك مستقبله ويرفض ترقيته فى الحياة ويبقى تحت اقدامهما؟!

نهرته الام وانبته على سوء خلقه، وربتت أمينة على ظهره ليهدا وانهما تريدان له كل خير وليسافر إلى أى مكان فى العالم مادام يجد هذا السفر فى صالحه.

خلال ذلك الشهر الذى كان يعد فيه أمين نفسه للسفر كانت أمينة. تستعرض حياتهما معا منذ طفولتهما، تذكرت كل حسناته ونسيت كل سيئاته، وشعرت بالفقد قبل أن يسافر، واخفت دموعها عنه، ولم تنم ليلة سفرة، وكانت مع أخيها الأكبر فى الصباح الباكر يودعانه فى المطار.

الفصل الثالث

أمـينة : «إننا لا نسـتطيع أن نمنع الآخـرين من الكذب علينا . ولا نستطيع أن نعرف إذا كانوا يقولون لنا كل الحقيقة ، لكننا يمكننا أن نبـقى حـذرين بقـدر الإمكان ونحـاول ان نعـيش بصـدق وشـرف . . اعـجـبـتنى هذه الكلمـات فى رواية كنت قـراتهـا من زمن ، لا أذكـر كاتبـها الاجنبى ولا حتى الرواية . كتبـتها على ورقة ووضعتـها تحت زجاج مكتبى فى العمل بجوار صورة امين اخى منذ سافر . . من سنين وبقيت الورقة والصورة» .

• • •

عملت أمينة على تعويض امها عن غياب ابنها امين ، واتفقت مع أخيها الاكبر على أن يحضر مع اسرته كل يوم جمعه لقضاء اليوم معـها وامـها فى البـيت ، وعليـه ان يقنع الشـقيـقين الأخـرين بهـذا الاقتراح ، فبالرغم من ان الاخ الاكبر يكبر امينة بعشرين عاما الا انه كان الاقرب إليها من الشقيقين الأخرين ، وهو الذى كان يودها والأم خصوصا فى غياب أمين ، ودائما يذكر الأم بفضلها عليه وعلى أخويه ، فلولاها . .واحتضانها لهم وهم صبية لكانوا فسدوا فى حياتهم ، وكانت الأم تقول له دائما عندما يردد هذا الامتنان ، إنها

امهم حقيقة، فالأم الحقيقية هى التى تربى وليست هى التى تنجب..
لقد امتنع الأخوة الثلاثة عن زيارة بيت أبيهم بعد وفاته عندما علموا بالزيارات النسائية المشبوهة لأخيهم من أبيهم أمين، ولم يمتنع الأخ الاكبر تماما عن ود الأم التى ربته والأخت التى رباها على كتفيه كما يقول دائما اقتنع الإخوة الثلاثة باقتراح امينة فى الاجتماع الأسبوعى واقتراح الاخ الاكبر ان يجتمعوا كل يوم جمعة فى بيت من بيوتهم.

فرحت أمينة بالحياة الأسرية الجديدة التى كفلتها لأمها، وتعاطف معها إخوانها الكبار وزوجاتهم وطلبوا منها الا تنسى حياتها الخاصة. وان تسأل ايا منهم أن يحضر لمجالسة الأم إذا أرادت أن تخرج او تسهر أو حتى تسافر للنزهة والترويح عن نفسها، فكانت تطلب منهم هذا أحيانا، فيأتى احد الإخوة أو احد من ابنائهم أو بناتهم، فهم يحبون الجدة التى تدللهم والعمة التى تغدق عليهم بالهدايا.

فى العام الأول لسفر أمين اصر الأخ الاكبر على دعوة الام وأمينة إلى شقته فى الإسكندرية لقضاء عدة أيام فى الصيف، لكن الأم المتعودة على الهدوء فى بيتها والتحرك بسهولة بين حجراته لم ترتح فى ضجة شقة الإسكندرية، وكانت ترفض النزول معهم إلى الشاطئ وتفضل الجلوس فى الشرفة كما تعودت أن تجلس فى شرفة بيتها، وتطل على العالم من هذا المرتفع الذى يطل على شارع هام فى العاصمة، لذلك رفضت السفر معهم فى الصيف الثانى لغياب أمين

ابنها الغالى، ابن بطنها الذى انجبته حقيقة وربته، لكن يبدو أن تربيتها لم تثمر معه كما أثمرت مع إخواته الثلاثة الذين لم تنجبهم حقيقة.

•••

لم تدر امينة كيف مر عامان على غياب أمين اخيها الحبيب، وكانت الخطابات المتبادلة بينهما والمحادثات التليفونية السريعة المتبادلة ايضا بينهما تكسر حدة الغياب والافتقاد، والشئ الذى عوض غيابه عنها انه اخيرا وجد طريقا ليحقق به حلمه القديم فى الحصول على حرف الدال.. ليصبح الدكتور الجيولوجى.. فى نهاية العام الثانى ذهب الأخ الاكبر لزيارة الام وامينة واطلعهما على خطاب خاص ارسله له امين، وقد وجد أن من واجبه ان يطلعهما عليه، ويخبرهما بالمكالمات التليفونية التى قام بها سواء لأمين او لأخرين.

طوال العام الثانى لوجود امين فى الولاية الامريكية التى يدرس بجامعتها وهو يعيش مع امرأة امريكية تعمل موظفة فى مكتبة الجامعة، ساعدته فى ابحاثه ودراسته بتسهيلها له الحصول على الكتب وأبحاث السابقين فى المجال الذى يدرسه. أحبته واحبها وقررا الزواج، واتفقا على أن يكون عقد القران فى مصر، أولا لأنها تريد أن يباركها أجدادها الفراعنة فى هذا الزواج، وثانيا لانه لابد أن يعود

إلى بلده لاستكمال بعض الآبحاث فيه ثم يذهب مرة أخرى إلى أمريكا، وسيحضر والمرأة إلى القاهرة خلال شهر ليتزوجا وسط اهله، ثم يعودان لعدة اشهر إلى امريكا ينتهى خلالها من بحثه لينال مراده. سألت امينة أخاها ماذا يعنى أمين بان الأمريكية تريد مباركة اجدادها الفراعنة؟! قال ساخرا: لأنها تؤمن بتناسخ الأرواح وتعتقد انها كانت أميرة فى عهد الفراعنة!!

قال الاخ الاكبر لأمينة وللأم انه بعد استلامه هذا الخطاب اتصل بامين وطلب منه ان يعود وحده اولا ليكمل البحث الذى يريده فى بلده، وبعد ان يعود إلى امريكا مرة أخرى وينال تقديره العلمى يأتى بالمرأة ليتزوجها، وأخبرهما باتصاله التليفونى بصديق له يعمل فى هذه الولاية وطلب منه التحرى عن هذه المرأة، وقد علم منه انها تكبر امين بحوالى خمس سنوات، وانها كانت متزوجة من مسلم من شمال افريقيا وطلقته، ثم من مسلم من قارة آسيا وطلقته ايضاً، ثم اتصل بصديقين له يعملان فى مواقع هامة فى القاهرة واخبرهما عن المرأة الأمريكية فحذراه انها ربما تعمل فى المخابرات الامريكية، وعلى اخيه ان يتريث فى موضوع زواجها.

لم يستجب امين لطلب اخيه الاكبر بتأجيل زواجه واعتبر ان هذا تدخل فى شئونه العاطفية، ولما حذره من حياة المرأة السابقة وانها ربما موظفة فى المخابرات الامريكية وتريده غطاء لتحقيق اغراضها، قال له

أمين بعناده الصبى القديم انه سيتزوجها سواء رضيت العائلة ام.. لا..
تعجبت امينة ان اخاها لم يحدثها عن هذه المرأة مع انه كان يحدثها عن كل علاقاته السابقة النسائية.. هل مازال يعتقد انها وامه لا تريدانه ان يتزوج؟! ربما اعترضتا على زواجه من الاجنبيات وإن لم تفصحا عن اعترافهما، فهل فهم بذكائه هذا فقرر ان يضعهما امام الامر الواقع؟!.. لم تشك امينة فى تغيير عنوانه وارقام تليفونه. مجرد انه اخبرها بالانتقال إلى سكن أخر صدقته، ففى الولايات المتحدة الامريكية لا توجد مشاكل سكن ولا مجازر إسكان مثل التى فى مصر، ثم قال الاخ الاكبر القنبلة الاخيرة التى بعثها أمين لها ولأمها.. قنبلة الامر الواقع التى يفجرها فى وجهيهما دائما.. إنه سينزل مع الامريكية فى البيت معهما.

●●●

كان موعد وصول الطائرة إلى مطار القاهرة بعد العصر، لذلك استطاع الإخوة الثلاثة الكبار، وبعض اولادهم وبناتهم الذهاب لاستقبال امين والمرأة الأمريكية، وذهبت أمينة، لكنها لم تكن بفرحة استقباله كما كانت عند عودته من سفرياته السابقة.

لقد تخيلوا ان امين سيحضر معه حسناء مثل هؤلاء الممثلات الحسناوات المشهورات فى الافلام الأمريكية، واحدة جميلة ولها شخصية مثل جين فوندا، او بجمال عيون اليزابيث تايلور، أو بخفة دم شيرلى ماكلين، أو بجمال واحدة من الممثلات الجديدات اللاتى

يظهرن في المسلسلات الامريكية التى يشاهدونها على الشاشة الصغيرة، انتظروا كثيرا، وقال الاخ الاكبر لابد انه لم يلحق بهذه الطائرة، وصاح احد الأبناء..«عمى هناك يشير إلينا» نظروا حيث اشار الشاب فوجدوا امين يريدى ملابس غريبة وعلى راسه قبعة مثل التى يرتديها رعاة البقر فى افلام الغرب الامريكى ومتعلقة فى ذراعه بقرة.

همس الاخ الاكبر لأمينة «لو كان ابانا موجودا لنهره على هذه الملابس الرقيعة وامره ان يخلعها، وأن يعيد هذه البقرة إلى القطيع الذى جاءت منه».

ابتسمت امينة بمرارة وقالت لأخيها الاكبر: «رحمه الله لم يكن يحب الحال المايل.. هل تذكر عندما ضبطه أبونا وهو يلعب لعبة سخيفة مع البنت الجريكية فى بئر السلم؟!.. لم ينقذه من العلقة سواك».

قال الأخ الاكبر هامسا يحدث نفسه: «كان لابد ان اترك أبانا يضربه تلك العلقة ربما كانت منعته من مصاحبة الأجنبيات بعد ذلك».

•••

عقد امين قرانه على الأمريكية كما يفعل المصريون عند زواجهم من أجنبيات، بدون الطقوس المحببة لإعلان الزواج بحضور المأذون

وإطلاق الزغاريد، فى حفل عائلى او مكان عام، اصرت الامريكية ان تحتفل فى المساء بجوار الهرم الأكبر بزواجها من فتى احلامها، ورفضت كل العروض المقدمة من الإخوة بإقامة حفل عائلى، اصرت على الاحتفال مع زوجها فقط .

كان مساء خريفيا باردا، وكان عدد قليل جدا من الناس تحت الهرم الاكبر، جلس امين وزوجته فوق حجر كبير واحتضنته فقال لها ان تراعى تصرفاتها العاطفية لأن تبادل العواطف على الملأ غير مستحب في بلده، فقالت أنها تفهم هذا التزمت من زوجيها السابقين فى الدول المتخلفة .وإن كانت تتحرق شوقا لتقبيله وممارسة الحب فى هذا المكان الساحر ولا تظن أن المنع يصل أيضا إلى احتساء كوبين من الشامبانيا، واخرجت الزجاجة وكأسين من حقيبة معها، انقاد امين لرغبتها وفتح الزجاجة، وكما يحدث عند فتح زجاجة الشامبانيا يحدث صوت مثل الفرقعة، فانقدت يد قوية علي الزجاجة، يد شرطى كان يراقبهما، وقذف الزجاجة بعيدات عن الهرم امام ذهول امين وزوجته.

اصر الشرطى أن يصحبهما إلى قسم البوليس لأنهما يحملان مفرقعات، وهذه الزجاجة من المواد المتفجرة كانا يريدان قذفها على الهرم الاكبر، وإن كان الهرم العظيم لن يتأثر إلا ان السائل فى الزجاجة ربما من السوائل المؤذية التى تؤثر فى الحجر، حاول امين أن

يشرح له الموقف ولم يسمع الشرطي ما يقوله تماما ، والذى انقذ امين فى تلك اللحظة مرور ضابط شرطه بسيارته لتفقد المكان ومعه شرطيان . توقف ليعرف سبب وجود الشرطي معهما ، أخبره امين بالمشكلة . وأحضر الشرطي حطام الزجاجة التى قذفها بعيدا ليشاهدها الضابط ، فحصها وقال لامين : إن مثل هذه الاشياء والاحتفالات لا يصح أن تحدث هكذا على الملأ ، اعتذر له امين حتى يخرج من هذا المأزق وصحب زوجته إلى السيارة التى استعارها من صديق له ، وفسدت تلك الليلة التى كانت تحلم بها الأمريكية تحت الهرم ، ولم يعجبها هذا التخلف الفكرى المضاد لتلك الحضارة العظيمة التى تركها الاجداد .

عندما روى امين لأمه واخته أمينة تلك الحادثة ضحكتا ، واغتاظت الأمريكية من ضحكاتهما ، واعتبرت أن أمين أخطأ بسرد ماحدث لانه من خصوصياتهما ، أما ضحكات امه واخته فتدل على عدم احترامهما لمشاعرها وغضبت ، فى صباح اليوم التالى لتلك الليلة انضم أمين إلى أمه وأخته فى حجرة الطعام لتناول الفطور ، ولما سألت الأم عن زوجته قال انها متعبة ونائمة . ثم قال لهما غاضبا : كان لا يصح ان تضحكا بالامس على ما حدث لهما ، علقت امينة انه ايضا ضحك ، فقال انه اخطأ ، وغضبت زوجته لظنها انه يمكن ان يحكى لأمه واخته كل خصوصياتهما ، ابتهجت امينة فى نفسها لغضب

الامريكية ومنت نفسها ان عدة حوادث مشابهة يمكن أن تحدث لها وتجعلها تهرب من أمين ومن بلده.

•••

كان غضب الامريكية نية مبيتة في نفسها.. وكانت ضحكات الأم والاخت فرصة لإظهار هذا الغضب، لتتجنبهما ولتبعد زوجها عنهما، خصوصا عن اخته امينة، لقد حكى لها امين عن حياته كلها من يوم انجبته امه، وقد خلط كل الموازين وقلب كل الاحداث وهو يحكي، فإخواته الكبار لأنهم من والده فقط لذلك طول عمرهم يكرهونه، ففضل أن يعيش مع عمه إلى أن خرجوا من البيت!! وكانوا يحبون اخته لانها البنت الوحيدة، وكذلك يفضلها والده عليه، ومع ذلك لم يكرهها بل هي صديقته المفضلة، وارتباطه بها منذ طفولتهما لأنها اخته الحقيقية!! وبالرغم من حبه لها فقد تآمرت عليه مع امه ليربطانه بجوارهما عندما عاد ليعيش في البيت بعد خروج الإخوة وموت الأب.

وكانت أمه وأخته تفسدان أية علاقة له مع امرأة حتى لا يتزوج!! ولولا ان علاقته بالامريكية كانت بعيدة عنهما ماكان استطاع ان يتزوجها!! لذلك بقي إلى أن وصل إلى الثالثة والاربعين من عمره بدون زواج، ولما سالته الامريكية لماذا لم تتزوج اخته وهي تصغره بعام فقط؟! قال: إن أمينة فشلت خطوبتها من سنين بعد قصة حب

خائبة فتعقدت من الرجال وشجعتها الام على أن تبقى بدون زواج حتى ترعاها اثناء سفرياته الكثيرة!!.. كما أن أخته طموحها العملي اكبر من طموحها في الزواج والأمومة، وكذلك تعلقها به جعلها ترفض عروضا كثيرة للزواج، ولما سألته الامريكية عن مدى تعلق اخته به وتعلقه بها فهم قصدها وأخبرها ان ما قراته عن حب وزواج الاخ باخته ايام الفراعنة حرمته كل الأديان السماوية وهي تعرف هذا فلماذا تسأل؟!.. وعلى اية حال فالحب بينه وبين أخته من الروحانيات.

لم ترق الامريكية بحكاية الحب الروحي بين زوجها واخته، ولا ارتباطه بامه وعاداته معها واخته فبدأت تعمل خطتها من اليوم الاول لوجودها معهما في البيت، وكانت ضحكاتهما على الحادثة المحرجة التي حدثت لها مع زوجها في الهرم مفتاحا اكيداً لبدء الخطة».

الفصل الرابع

أمينة: « عندما أمر الآن من هذه المنطقة على كورنيش النيال اتذكر أحيانا هروبى من البيت، وسيرى بلا هدف انظر إلى النهر اشكو إليه ،وأردد من أشعار لوركا الاسبانى.. وإذا انا لم اعد أنا.. وإذا بيتى لم يعد بيتى.. واضيف من عندى، وإذا اخى لم يعد اخى.. أحيانا تاتى الدموع الى عينى فى حنين إلى أيامنا الحلوة أنا وأخى، وأحيانا أنظر إلى النهر وأتذكر قول الفيلسوف القديم.. إنك لا تنزل مياه النهر مرتين، فهناك مياه تجرى دائماً.. ابداً.. فاتنهد براحة ان تلك الايام البغيضة التى قضيتها مع أخى وزوجته قد ذهبت».

●●●

كانت من عادة الأم وامينة تناول طعام العشاء امام التليفزيون فى حجرة المعيشة.. وكان امين يشاركهما اثناء وجوده فى البيت، عندما جاء بالامريكية شاركتهم مرة واحدة فى هذه الجلسة العائلية التليفزيونية، وابدت تذمرها من التليفزيون وقالت انها فى بلدها لا تشاهد هذا الجهاز اللعين إلا فى حالات نادرة، كما أن الطعام أمامه يفسد الهضم، وبعد ذلك التذمر والملاحظات امتنع امين عن مشاركة امه وأخته طعام العشاء، وكان هو وزوجته يتناولان طعامهما بمفردهما فى حجرة الطعام أو فى مكتبه.. لم يعجب الامريكية

الطعام الذى يعده الطباخ مرتين فى الاسبوع، وقررت ان تطهو طعامها لها وزوجها ، ظنت الام وامينة ان الامريكية تاكل الطعام المسلوق فقط، لكنهما كانتا تشمان الروائح النفاذة لطهو الامريكية وتتعجبان من هذا الدسم الذى ياكله امين مع زوجته، ولم يعد امين يتناول اى وجبة طعام مع أمه وأخته.

كانت الامريكية عندما تجد زوجها يتحدث مع امه واخته حديثا طويلا تغضب، وإذا تحدث معهما امامها تطلب منه ان يترجم لها كل كلمة.. ويترجم لها، ولم يعد بينه وبين أخته أى حديث خاص، وكان عندما ينتهز فرصة دخول زوجته الحمام ليتحدث مع اخته ينهى الحديث إذا سمع باب الحمام يفتح، وقد اكتشفت يوما وجوده فى حجرة اخته يتحدث معها حديثا وديا فنادته بصوتها الذى مثل سرينة رفيعة كئيبة فتلعثم فى حديثه وجرى إليها.

قررت امينة الاستمرار فى الاجتماع الأسرى الذى سارت عليه اثناء غياب اخيها امين، وفى أول يوم جمعة لوجوده مع زوجته فى البيت جاء الإخوة الثلاثة وزوجاتهم وبعض ابنائهم وبناتهم .جاملتهم الامريكية بالانضمام إليهم على مائدة الغداء لتتعرف عليهم، لكنها رفضت دعواتهم فى ايام الجمع التالية، وكانت تصحب امين ليمضيا يوم الجمعة بعيداً عنهم، واعتذر امين لهم بأنها لا تحب الضجة، وانه يفرجها على البلد فى يوم اجازته.

بعد شهرين من وجودها قررت العودة إلى وطنها لتنهى بعض الإجراءات فى بلدها، على أن ينتهى أمين من الأبحاث المفروض أن يقوم بها فى بلده خلال شهرين، ويذهب إليها حيث الجامعة التى ستأخذ بابحاثه وتناقشه لينال الدكتوراه ثم يعودان معا ليعيشا فى بلده.

سافرت الامريكية وتمنت امينة أن تقع بها الطائرة.

•••

امرت الامريكية زوجها امين قبل ان تسافر أن يجد حلا لحياتهما خلال الشهرين اللذين سيمضيهما فى بلده، فهى وإن كانت يمكن ان تتحمل امه إلا انها لا تستطيع ان تعيش فى بيت واحد مع اخته، اقنعته انها مضحية بحياة الرفاهية التى تعيشها فى وطنها الثرى لتعيش معه فى وطنه النامى الفقير، لأنها تحبه اكثر من وطنها وناسها، ولم تخبره بالحقيقة المرة. التى تعيشها فى مجتمعها، فهى تكبر امين بخمس سنوات، وعلى ابواب الخمسين، والمراة فى هذا العمر خصوصا فى مجتمعها لا تجد من يتزوجها علاوة على حدة طبعها وسوء مظهرها، يمكن ان تجد من يصاحبها فقط وينعم باموالها التى أخذتها ثمنا للطلاق من الرجلين السابقين، فقد دفعا لها ما طلبته بعيدا عن المحاكم وفضائحها حتى لا يلوثان سمعة بلديهما.

إقتنع امين ايضا انها قامت بعملية لتمنع الانجاب حتى تتفرغ لمراعاته تماما ولا يشغلها عنه طفل رضيع ولم تكن الحقيقة فقط انها تقترب من الخمسين وخطورة الحمل فى هذا العمر معروفة بل لانها فى الاصل لم ولن تنجب، فبالرغم من انها بقرة إلا ان رحمها طفولي.. رحم طفلة، ومع كل هذه التضحيات فهى امرأة ثرية بدولاراتها يمكن ان تجعل زوجها يعيش ملكا فى بلده الفقير فكيف لا ينفذ طلباتها؟!

•••

اجتمع امين بإخوته الثلاثة الكبار فى بيت اكبرهم ليتناقش معهم فى طلب زوجته لإبعاد أخته أمينة عن البيت وإنهم لابد أن يجدوا حلا خلال خمسة اشهر، اثنان سيقضيهما معهم وثلاثة فى الولاية الامريكية: فلابد عندما تعود معه زوجته ان تجد راحتها فى البيت.

وجمعوا من طلب امين.. هل يمكن ان يطرد اخته حبيبته وصديقته منذ طفولتهما؟! هل يمكن ان ينقسم الاسمان ويفترقان بكراهية بعد ان كانا مرتبطين بالحب؟!

سألوه: ماذا فعلت اخته بزوجته لتطلب منه هذا الطلب؟! صمت قليلا وقال: إن كل فرد له عاداته فى الحياة وعادات ونظام امينة تختلف تماما عن زوجته، علاوة على أن أمينة لم تتوافق مع أية امرأةصاحبها فما بالكم من امرأة تزوجها؟!.. ثم ان من حقه وزوجته

ان يعيشا حياتهما الخاصة وحدهما . نظر إليه الأخ الاكبر باستياء . .
وقال له أن بيع الشقة هو الحل ، ويقسم ثمنها بينه وبين أمينة بعد أن
يعطى صاحب العمارة نصيبة ، ويؤجر أو يشترى كل منهما شقة
خاصة به على أن تعيش الام مع امينة .

اعترض امين على بيع الشقة لأنها فى موقع ممتاز ويحبها وزوجته
ايضا احبتها ولا تريد سكنا فى غيرها . . اقترح الاخ الثانى ان
يشترى امين نصيب امينة ، يعطيها اموالا او يشترى لها شقة مناسبة ،
وإذا كانت زوجته تريد راحتها عليها ان تدفع هذه الاموال لآنهم
يعرفون ان امين ليس لديه الكثير . . قال امين ان جارهم باع شقته التى
فى أول دور لشركة واخذ ثمنها بعد ان دفع نصيب صاحب العمارة
مائتى الف من الجنيهات . . قال الاخ الثالث ان شقتهم تساوى اكثر
لانها اوسع وموقعها افضل ، وليكن ثمنها كما بيعت شقة جارهم
فعليه ان يعطى امينة مائة الف . . وهم . . آى الاخوة الثلاثة سيبحثون
عن شقة ملائمة لها ويؤثثونها ، فلن يرضوا ان تتبهدل اختهم . فكر
امين فى هذا الحل وقال لإخواته انه سيناقش هذا الاقتراح مع زوجته ،
سيطلبها فى المساء ويخبرهم بقرارها » .

عندما طلب امين زوجته تليفونيا وأخبرها باقتراح إخوته لشراء
نصيب امينة فى الشقة لتخلو لهما وافقت ، لكن عندما اخبرها بالمائة
الف اخترق صراخها القارات والمحيط والبحار واستقر فى اذنه . .

وإنها لن تدفع اكثر من عشرين الفا من الجنيهات المصرية وليس الدولارات الامريكية، طلب امين الاخ الاكبر واخبره بقرار زوجته فسأه ان ينتظره فى مساء اليوم التالى ليناقش معه وإخوته هذا الامر بحضور أمهم وأمينة، فلم تكن الام والاخت تعلمان بهذا الموضوع..

• • •

قال الاخ الاكبر إن عشرين الفا من الجنيهات الان لا تشترى سوى شقة ضيقة فى حارة قذرة من العاصمة، أو شقة متوسطة فى مدينة جديدة نائية.. قال الاخ الثانى: انهم-أى الاخوة الثلاثة-لا يستطيعون ان يكملوا المبلغ المطلوب فوق العشرين الفا لشراء شقة محترمة لاختهم، فهم بالرغم من انهم يعيشون حياة جيدة إلا ان دخولهم لا تسمح.. وسأل الاخ الثالث امين: هل يمكن ان تقسم هذه الشقة الكبيرة لتصبح شقتين صغيرتين؟! قال امين: إنه فكر فى هذا الامر لكن نظام حجرات الشقة صعب تقسيمه ولابد من بناء حمام ثان، وهذا غير ممكن، وموافقة اصحاب العمارة غير ممكنة ايضا.. فسأله الاخ الثالث سؤالا وجيها:

«لماذا لا تذهب انت وتعيش مع زوجتك فى مجتمع الرفاهية، وقطعا بشهادتك وخبرتك ستجد اعمالا افضل من بلدنا».. قال امين بوطنية مفتعلة: إن بلده يحتاج لخبرته خصوصا ان صحارينا تنادينا الان بعد الحروب التى انهكت خيراتها، وشئ آخر مهم ان زوجته تحلم وترغب ان تعيش فى ارض الفراعنة!

هز الاخ الاكبر راسه وقال له طبعا الاهم طلب زوجته وليس طلب وطنه.

قالت الام بحسرة: «والله عال.. البيت بيت ابونا.. والغرب يطردونا».. ثم اضافت انها لن تترك هذه الشقة التي عاشت فيها طوال عمرها إلا إلى قبرها، وإذا كان أمين لا يريد ان يعيش مع اخته عليه ان يبحث عن سكن مفروش او اى سكن له ولزوجته، وان امينة لن تترك هذه الشقة إلا إلى بيت زوجها إن شاء الله.

كانت امينة صامتة طوال الوقت، تشعر بغصة في قلبها كلما نظرت إلى امين، تستمع إلى كلامهم كانها في حلم ثقيل، ولا تصدق إنه حقيقة، لقد علمت من أخيها الاكبر ما دار بين امين وإخوته الثلاثة، وأصبحت الامور واضحة امامها بكل قبحها، وأمين وزوجته اصبحا واضحين امامها بكل خبثهما، وهذا الوضوح جعلها تشعر بالاكتئاب، وأخيرا قالت انها لن تبيع نفسها للامريكية حتى.وإن دفعت المائة الف واكثر وانها ستعيش في بيت والديها إلى أن تقرر هي أن تتركه وليس لاحد الحق ان يقرر لها هذا.

قال أمين منفعلا: « ياامينة لا تاخذى المسألة انها بيع وشراء، وإننا نريد الراحة لنا جميعا في حياتنا، وانت وامى راحتكما قبلنا جميعا، نظرت إليه امينة وقالت بمرارة: ينبغي على الانسان ان يقول شيئا حقيقيا ولو مرة واحدة في حياته، لقد بدات امينة تشك في كلام

اخيها وتشك فى عواطفه نحوها، فهل كان يمثل الحب والود لأنه كان يحتاج لصحبتها وونسها؟! وهل كان فى الحقيقة يكرهها؟!

•••

امينة: «ارتبط اسمانا معا فكانوا دائما يقولون هذا الشئ لامين ومثله لأمينة، يريدون أن يقسموا الشقة بيننا.. هذا الجزء لامين، وهذا الجزء لامينة.. او يقسموا بيننا ثمن بيعها.. عشنا سنين طويلة فى هذه الشقة. تاريخ طويل، شاهدنا مظاهرات الجلاء بالدماء ونحن طفلان، ورددنا كلمات لم نفهمها تماما.. نفديك بارواحنا ياوطن.. شاهدنا حريق القاهرة عام ٥٢، وتخبط الشارع ،والوزارة والحكم، شاهدنا الضباط الاحرار فى سياراتهم، وهتفنا بثورة صبانا للثورة ولم نفهم تماما ماذا حدث، سمعنا طلقات المدافع المطاردة للطائرات المعتدية علينا بعد تاميم القناة، واستمعنا باهتمام لشرح والدنا عن معنى ما نسمعه، وشاهدنا التفاف الناس حول الزعيم لمساندته، شاهدنا اللافتات المعلقة معلنة اننا سنسحق الأعداء فى ١٩٦٧، وشاهدنا انتكاسة اللافتات فى مساء اليوم الثالث لحرب يونيه وهم ينتزعونها.. شاهدنا عويل الناس فى الشارع الكبير والميدان يوم أعلن الزعيم انه يعتزل.. واهتزت العمارة من المسيرات الشعبية التى سارت إلى مجلس الامة تطالبه بالعدول عن موقفه، وشاهدنا الهلع والزحام يوم وفاته وسحابة الحزن الداكنة فوق بلدنا.. شاهدنا فرحة

الناس بحرب اكتوبر ٧٣ ونظام الشارع والأخلاق الكريمة التى ظهرت لهم، وفرحة بداية الانتصار وسحابة الحب والامل التى احتضنت سماءنا لفترة واختفت .. شاهدنا ثورة المطحونين من الناس فى أول إعلان رسمى عن ارتفاع الاسعار للسلع.. شاهدنا صمت الطريق وإختفاء الناس بعد حادثة الاغتيال.. شاهدنا.. وشاهدنا.. واشرقت ايام كثيرة وغربت.. وانا وامين فى هذه الشقة.. ساتركها لك يا أمين فقد عشت فيها الحب ولن اتحملها بالكراهية.. خصوصا كراهيتك انت ياأمين»

•••

انشغل امين خلال الشهرين فى تكملة الابحاث المطلوبة منه، ومشاحنات فى مكان عمله، وكانت امينة تتحاشى الحديث معه، لكنه كان يتودد لها ولأمه، كان أمين القديم الذى يحبهما حتى انه أخبرهما انه سيعمل على أن يعيشوا جميعا معا بالود، فزوجته تحبه ولن تفعل شيئا يغضبه، وسيلقى عليها درسا بل تهديدا انها إذا لم تتعايش مع امه واخته بالود والحب سيرجعها إلى بلدها، لكنه عندما سافر والتقى بزوجته واخبرها عن استحالة خروج اخته من البيت على الاقل فى ذلك الوقت، اعادت عليه موال تضحياتها بالزواج منه، وذكرته بالحكايات التى رواها لها من قبل ان سبب فشل خطوباته السابقة كانت الام والأخت، وانها لا تريدهما ان يكونا

سببا فى فشل زواجهما، تذكر أمين حكاياته وتصوراته الخاطئة، لكن لم يكن امامه حل يفعله، فهمت الامريكية ضعفه فى اتخاذ القرار خصوصا من ناحية اخته وقررت ان تقوم بخطة امريكانى للاستيلاء على الشقة فى القاهرة.

الفصل الخامس

أمينة: «الافضل الا نذهب إلى الاماكن القديمة التى نشتاق لها لاننا لن نجد ما نرغب فى رؤيته حقيقة، كان ما نريد رؤيته فى ذلك الزمن القديم.. وإذا كانت إرادتنا تمنعنا من الذهاب فى صحونا، فارواحنا تنتظر نومنا مساء لتطير إلى تلك الاماكن، ويتكرر الحلم اننى اسير فى طريق بعيد، مظلم أحيانا، وعر أحيانا، أبحث عن مواصلة لاعود إلى البيت العريق، لا أجد مواصلة.. اسير فى الطريق خائفة، لااعرف كيف اسير، اقوم منزعجة لاهثة، انظر حولى لاتاكد اننى ابتعدت عن هذا البيت من سنين».

● ● ●

عندما وصلت الام إلى الثمانين من عمرها منذ خمس سنوات بدأت امراض الشيخوخة تثقل عليها، وهن العظام، ضعف قدرات القلب والشرايين، وفى السنتين الاخرتين اصبحت تتحرك بصعوبة فى البيت ولابد من مراقبتها، وعندما سافر امين إلى أمريكا ليأخذ الشهادة ويحضر زوجته ربما اضطرب تفكير الام لعودة الأمريكية التى تكره ابنتها امينة فاصابتها أزمة قلبية، طلبت امينة إخواتها الكبار وهرعوا إليها بطبيب، قرر الاخ الاكبر الا يتركوا امينة وحدها

مع الام المريضة، فكانوا يتناوبون فى المكوث مع امينة لرعاية الام..
هم او احد ابنائهم أو بناتهم، وقد اعربت الام عن إمتنانها لاولادها
وقالت لامينة انها تجد الرجال الذين ربتهم احن عليها من ابن بطنها
امين.

وقد حزنت امينة فى نفسها وخافت أن ترحل الام قبل أن يعود
امين ويحسن صورته عندها، خافت ان ترحل وهى غاضبة عليه،
وطلب الأخ الاكبر امين فى امريكا، اخبره عن حالة الام، ومادام نال
الشهادة التى سعى إليها فعليه أن يعود فى اسرع وقت، خاف امين أن
يخبر زوجته حتى لا يفسد ترتيبها فى الذهاب إلى رحلة عبر عدة
ولايات قبل عودتهما، لكنه لم يستطيع إخفاء دموعه، وكان لابد أن
يخبرها، لم تغضب الامريكية، بالعكس فقد جاء الوقت المناسب
للعودة، امه ستموت، ومن السهل طرد اخته من البيت، وصدقها
عندما اعربت عن ضرورة عودتهما للعناية بالام.

•••

عاد امين والامريكية، وقد شحنا من امريكا الالات الثقيلة، ثلاجة
كبيرة، غسالة ملابس، وفرن كهربائى وغاز، واستولت الامريكية
على الحجرة الخالية التى كانوا يخزنوا فيها الاشياء القديمة، وجعلتها
مطبخها واغلقتها بالمفتاح، ووضعت الغسالة الكبيرة فى الحمام
بجوار الغسالة القديمة الخاصة بالبيت ونزعت« الفيشة» عن السلك

حتى لا يستخدمها أحد أو على الاصح امينة، وعندما تريد غسل ملابسها يوصل امين الفيشة بالسلك!!

بدا التشتيت العاطفى القديم يصيب امين، فالامريكية بعد أن سلمت على امه واخته عند عودتهما لم تعد تدخل حجرة الام لتسال عنها، ولا تتحدث مع اخته فى آى شئ، وإن اضطرت فتتحدث ببرود وتعال،ففضلت امينة الابتعاد عنها تماما، تشتت امين بين عاطفته الخفية لامه وأخته وعاطفته المعلنة لزوجته وإنقاد لتحقيق رغبتها فى تحريك اثاث فى البيت مما ازعج الام وقالت له امينة الا يحرك شيئا من مكانه لان هذا يسبب قلقا للأم، لكن هذا القلق كان من خطة الامريكية!

تحملت امينة هذه المضايقات من اجل الام، وكانت تخاف ان تتركها وحدها فى البيت مع الامريكية اثناء غياب امين فى عمله، وإذا لم تجد احدا من إخواتها الكبار أو.. من ابنائهم ليبقى مع الام كانت تأخذ اجازة من عملها أو تعود سريعا منه، كانت تخاف أن تضع الامريكية السم فى طعام الام، او تلقيها من فراشها على الارض، او تكتم انفاسها بوسادة وهي نائمة، لقد ايقنت امينة ان وجود الام فى البيت حماية لها، والامريكية تريد إزالة هذه الحماية فى اسرع وقت.

●●●

كل من شاهد امين والامريكية فى عزاء الام تعجب من الفرحة التى حاولا إخفاءها بتصنع الحزن ! !

• • •

تحدثت امينة مع الاخ الاكبر فى فكرة انتقالها إلى الاسكندرية للعمل فى فرع المؤسسة التى تعمل بها وتعيش فى شقته هناك ، فعرض عليها ان تعيش معه واسرته ، ويمكن تدبير حجرة لها ، شكرته راضية ، نصحها ان تبقى فى حجرتها كانها تعيش مع اغراب فى «بانسيون» إلى أن تجد حلا مقنعا ، فهى فى القاهرة بين إخواتها واقاربها وصديقاتها ، ويمكن ان تجد من يؤنسها فى يومها ، أما فى الاسكندرية فلا احد تعرفه هناك إلا فى شهور الصيف ، فلماذا تعذب نفسها وتجعل الامريكية تنتصر عليها هكذا ؟ ! نصحها بتعاطف أن تلتفت لحياتها الخاصة فلا يمكن ان تظل هكذا بدون زواج .

• • •

بدأت مضايقات الامريكية لأمينة تزداد فى الساعات القليلة التى تمضيها فى البيت ، استولت على حجرة الام لتكون حجرة نومها مع امين ، ونقلت اثاث الحجرة لمكان اخر ، وكان امين يوافقها على كل شئ واذا ابدت امينة ملاحظة له يثور فى وجهها ، تعجبت امينة لانقياده إلى افعال الامريكية الشريرة ، لقد كتب قائمة بكل الاشياء التى اشتراها فى البيت ، بعضها اشياء مضحكة ، مثل اطباق قديمة ،

أوانى قهوة وشاى، صوانى بلاستيك، أدوات مطبخ، أشياء كثيرة اختفت من امامها حتى لا تستخدمها.

فكرت امينة فى معنى كلمة «خنيث» التى وصفت بها امها يوما امين، هل كانت تقصد انه لئيم يفعل اشياء فى السر وعادة تكون مثل هذه الاشياء قذرة؟!.. لقد كان يترك امينة تشترى الاشياء الاستهلاكية للبيت، ويشترى هو الاشياء التى تعيش، مثلا تشترى امينة طعاما، ويشترى هواطباقا. تدفع امينة استهلاك المياه والكهرباء ويشترى هو سخانا للمياه ومدفأة، ادركت امينة هذا عندما وجدت الاشياء التى اشتراها تختفى من امامها، ولان سخان المياه فى الحمام تبعه فأنبوبة الغاز فصلت عنه ووضعت فى الحجرة المغلقة حتى لا تستخدم امينة المياه الساخنة، والتليفزيون الملون نقل إلى حجرة نومه وزوجته، وعندما نبهته امينة بانها ساهمت فى دفع اقساط التليفزيون انكر وقال :إن النقود التى كانت تدفعها لمصروف البيت، اكتشفت امينة ان كل النقود التى انفقتها لم تظهر فى اشياء واضحة، استهلكت.. وفكرت فى معنى«خنيث» الذى وصفت بها امها يوما امين.. هل كانت تقصد انه لا يتصرف برجولة؟! ربما لذلك ترك زوجته تفعل هذه التصرفات المهينة لاخته؟!

تساءلت امينة: هل انقاد امين للشر لانه كان كامنا فيه فخرج منه بسهولة عندما وجد من يخرجه؟ هل كان مهيأ للشر فانقاد لافعال

الامريكية«الخسيسة»؟! كل إنسان به من الخير والشر. كانت الام والاخوة الكبار وامينة يخرجون منه الخير والطيبة، اما الامريكية فقد اخرجت منه الشر كما لو كان مكبوتا فخرج بضراوة.. قال الاخ الاكبر تعليقا على تلك الافعال لأمينة: إن الامريكية لا يمكن ان تفعل هذا إلا برضاء أمين وإذا كان ما تفعله غصباً عنه فهو ليس رجلا.

وإذا كان رجلا حقيقة كان يمنعها من تلك الافعال الدنيئة، وكان يجعلها تحترم اخته وإخوته الكبار.. فقد كانت الامريكية تغلق عليها باب حجرة النوم عندما يذهب الإخوة الثلاثة او احدهم لزيارة امينة، ولا تستقبلهم، ولم يعد أمين يعتذر لهم بل كان ينضم لها فى الحجرة المغلقة، وشعرت امينة والإخوة الثلاثة ان امين قرر ان يترك عالمهم، عالم المحبة والطيبة، لم تعد انفاسهم تدفئة فى اجتماعهم، وكانه أصبح حقيقة يشعر بالعداء نحوهم، وقرروا بينهم وبين انفسهم ان يألفوا فكرة ان امين ضاع منهم.

●●●

لم تعد امينة تحب الشقة، ولم تعد تسميها بيتها، ولم تعد تجرى إليها لترتاح، لم تجد تجد فيها الراحة ، وكأن كل شئ فى الشقة لم يعد له صلة بها. بعد رحيل الام لم يعد أحد ينتظرها بلهفة ويستقبلها بفرحة، لكنها كانت تسلى نفسها، أحيانا بخيالات مضحكة، فى الساعات التى تمضيها وحدها، كانت تتخيل امين

بقامته القصيرة وبدنه النحيف وهو يضاجع هذه البقرة الامريكية، لقد هالها حجم فخذيها/عندما شاهدتها اول مرة ترتدى، «الشورت» وقد سمعت امين يوما يوبخها لانها كانت ستخرج معه هكذا!! وكان الاخ الاكبر فى زيارة امينة يوما ولمح الامريكية فى ذلك الشورت فهز راسه متعجبا وقال: للرجال فيما يعشقون مذاهب!!

لم تعرف امينة حقيقة اخلاق الامريكان وتصرفاتهم إلا فى السنين القريبة الماضية، وبعد ان ابتعدت عن الامريكية، عندما تابعت المسلسلات الامريكية فى التليفزيون وشاهدت كيف يتعاملون مع بعضهم، وكيف تستحوذ امرأة على عقل رجل وتتصرف بسفالة مع اية واحدة كان يحبها، أو كيف تأخذ امرأة زوج امرأة أخرى بالاعيب جنسية فجة، أشياء كثيرة لم تفهمها أمينة من قبل وعاشت مع عدو لا تفهمه فلم تعرف كيف تتعامل معه.

أحياناً كانت أمينة تتصرف مثل عضو فى المقاومة الشعبية لبلد محتل، فتقوم بافعال خفية تضايق المحتل بدون ان يكتشفها! فكانت تتفق مع ابناء بواب العمارة لتعليق الامريكية فى المصعد بين دورين عندما تكون وحدها، وعندما تنزل فى الصباح لعملها، وتكون الامريكية فى الحمام تنعم بالمياه الساخنة فى حمامها الصباحى، هذه المياه التي تحجبها عنها كانت تجزل العطاء لأحد صغار البواب ليتسلل إلى موتور المياه الخاص بشقتهم ليغلقه.

فعندما بدأت القاهرة تزدحم بالعمارات الجديدة والسكان حدثت زيادة فى استهلاك المياه فاصبحت لا تصعد إلى الادوار العليا فى العمارات القديمة وظهرت فى الاسواق الموتورات لرفع المياه، وتهافت الناس على شرائها، وقد اهدى الاخ الاكبر لامه موتورا لذلك لم يذهب إلى ممتلكات امين، وإلا كان يتكبد النزول والصعود طوال النهار والليل لفتح وغلق الموتور عند استخدامه هو وزوجته وحجب المياه عن اخته! وكانت الشقق العليا فى العمارة تضع الموتور الخاص بكل شقة فى بئر السلم الخلفى حتى لا يزعجهم بصوته، لم يكن سكان العمارة وقتها اشتركوا فى عمل موتور كبير مشترك وخزان للمياه.

كانت مطالب امينة تستهوى ابناء البواب.. بل كانوا يقومون من ناحيتهم بافعال ساذجة مضايقة للامريكية لانها كانت متعالية عليهم متغطرسة فى وجوههم، وعندما حاولوا مساعدتها فى أول الامر بحمل مشترواتها كانت تدفعهم بعيدا عنها بيدها الغليظة، ولم تفهم ان المصاعد فى العمارات القديمة كثيرة العطب، فلم تعمل حسابا ليوم يتعطل فيه المصعد وهى عائدة بمشترواتها، فى مثل ذلك اليوم كان يختفى أبناء البواب من امامها، حتى البواب وزوجته يهربان، وذات يوم صعدت إلى الدور السادس ونزلت ثلاث مرات لتحمل مشترواتها من طعام وشراب التى حملتها فى سيارة اجرة

وساعدها السائق على حملها إلى باب المصعد الذى تعطل اثناء وجودها في السوق ! يومها لم يهرب الصغار من امامها بل وقفوا يستمتعوا بالفرجة عليها فى صعودها ونزولها ، واشتكت لامين عندما عاد من عمله من البواب وابنائه فنزل ثائرا يتشاجر معهم.

• • •

فكرت امينة ماذا كانت تعنى امها بوصف امين« بالخنيث »؟! هل لانه غير واضح فى تصرفاته؟! هل فى داخله غير الذى يظهره؟! والشئ الداخلى لابد ان يأتى يوما ويظهر فى تصرفات ، فى اختيارات.. «ياخسارة ياامين».. هل لم يفهم ماذا يريد تماما؟ من حياته ام كانت اللخبطة فى افكاره هى التى قادته إلى تلك التصرفات الغزيبة؟! ولم تفهم امينة ماذا كان يريد من حياته تماما ، كانت تعتقد انه إذا كان يريد العلم حقيقة ما كان ضيع سنين طويلة من حياته بدون ان يحصل على تلك الشهادات ، وماكان وضع اللوم على اسرته فى تاخره ، إذا كان يريد المال حقيقة كان يمكنه ان يعمل بخبرته وعلمه فى دولة غنية من دول النفط ، لا ان يرتمى فى أحضان امرأة قبيحة لثرائها ! ماذا يحب فى هذه المرأة؟! فجسدها عدوانى. نظرات عينيها عدوانية ، تقاطيع وجهها عدوانية ، امرأة عدوانية فى المظهر والمخبر ، فماذا يحب امين فيها؟!.. عندما قال له الاخ الاكبر ملاحظة عن اهمية حماية اخته من افعال زوجته قال له : إن اخته هى

التى تقوم بافعال مستترة تغيظ زوجته، ولولا حمايته لها لهجمت عليها زوجته وافترستها.. فسأله: هل زوجتك كلب مسعور؟!

تساءلت امينة: كيف احب امين هذه المرأة، وهى مختلفة عنه تماما.. هل فى دخيلة نفسه هو يشبهها؟! ام كان يتمنى ان يكون مثلها؟!.. تساؤلات كثيرة كانت تشغل امينة فى علاقة اخيها بهذه المرأة، وكانا فى نظرها يمثلان صورة قبيحة للزواج من ناحية المظهر الخارجى، ومن ناحية التعامل غير المتكافئ بينهما، كان امين تحت امر زوجته مطيعاً لها، بينما هى لا تعاملة بالمثل. من مراقبتها لهما وجدت امينة انهما يجعلان الانسان يعف الزواج بل يكرهه.

الفصل السادس

أمينة : «ذهبت مساء إلى بيت واسع ، شقة ربما . . فيللا يمكن . كان يوجد ناس كثيرون . دخلت حجرتى إنها ليست حجرتى القديمة لكنها حجرتى . . خرجت منها . . وجدت زوجة أخى امين فى حجرة مجاورة قلت في نفسى . . عادت الملعونة ، وكان يجلس على الارض قبالتها أخى يقبل يديها . ناديته لم يرد عليَّ وجدت الناس كانهم فى حفل يرقصون . دخلت حجرتى قلت فى نفسى ما الذى يجعلنى اعيش هنا ؟ ! . . تذكرت ان لى بيتا وزوجا . كنت غاضبة منه كان غاضبا منى . قلت فى نفسى لابد ان اعود إليه ، ساقول له انى كنت عند امى لانها مريضة . اخذت حقيبتى . خرجت من الحجرة ، وجدت امين يزحف على بطنه انحنيت لارفعه ، وقف قافزا واخذ يرقص مع الراقصين. قلت له لا يصح ان تفعل هذا . قال غاضبا كلاما سخيفا وطردنى من البيت . قلت ساخرج لكن لابد ان ارى امى أولا ، ربما لا اراها بعد ذلك ، فلن اعود الى هذا البيت .

قال إن امى فى حجرة فى آخر البيت . ذهبت إلى الحجرة التى اشار إليها . وجدت اربع نساء راقدات على اسرة . سالت اين امى ؟ ! . . رفعن رؤوسهن ولم اجد امى . . زعقت . . اين امى . . اين امى . . قمت منزعجة لاهثة . . اعوذ بالله من الشيطان ، تأكدت إننى فى بيتى ،

وبجانبى زوجى . . . احتضنته. أفاق من نومه، ربما فهم اننى كنت فى احد احلامى المزعجة فاحتضننى»

•••

الإنسان مجموعة اعصاب. مجموعة انفعالات. مجموعة علاقات إنسانية. علاقات مقربة مع الاهل. مع الاصدقاء، بهذه العلاقات يشعربالامان. يحتاج الانسان إلى شعور الامان والإطمئنان، بهذين الشعورين يخدم مجموعة اعصابه وانفعالاته ويستطيع ان يعيش سويا. عندما فقدت امينة شعور الامان والاطمئنان مع اخيهاوصديقها امين، لاحظت توتر اعصابها، وبالتالى انفعالاتها، فلجات سريعا إلى العلاقات المقربة مع إخوتها الثلاثة الكبار وصديقاتها.

اندمجت فى عالم بعيد عن عالم أخيها وزوجته. ورحبت صديقاتها بتقاربها معهن، وكن يدعونها من وقت لاخر لتمضى سهرة فى بيوتهن، او تذهب مع إحداهن إلى نادى رياض تمضى يوم إجازتها فى ضيافة صديقتها، وفى إحدى سهراتها عند صديقة قدمت لها رجلا صديقا لزوجها. لاحظت امينة ان الصدفة مصنوعة من صديقتها وزوجها فسألتها ماذا تقصد؟! قالت لها صديقتها إن الرجل عاش ظروفا مثل ظروفها ولم يتزوج لانه كان يرعى امه المريضة، وقد رحلت منذ عام ولن تخسر شيئا إذا هى تصرفت

بطبيعية وتعرفت على الرجل اكثر، فهو فى الخامسة والاربعين ويتمنى ان يتزوج من إنسانة تناسبه، وقد وجدت هى وزوجها ان امينة بكل صفاتها وعمرها القريب من عمره هى انسب واحدة له.

قالت امينة لصديقتها ضاحكة إن الرجال فى هذا العمر يفضلون الفتيات الصغيرات فلماذا تحرج نفسها بتقديمها له؟! ربما لا تعجبه ومن ناحية اخرى ربما لا يعجبها. سألتها صديقتها ان تترك الامور تسير طبيعيا ولن تخسر شيئا.. وقد سارت الامور بطبيعية اكثر مما تصورته الصديقة وزوجها فقد كان الرجل فى حاجة إلى رفقة ناضجة ومثقفة اكثر من حاجته إلى اللعب مع فتاة صغيرة ربما ترهقه بمطالبها المادية والمعنوية، وقد وجد ضالته فى امينة.. وكانت امينة فى حاجة الى صحبة رجل هادئ الطبع، راجح الفكر، مثقف وناجح فى عمله، صحبة متوافقة ربما تعوضها عن صحبة اخيها التى كانت فى زمن.. ولن تعود، وقد وجدت ضالتها فى هذا الرجل.

ستة اشهر تبادلا فيها الاعجاب ومعرفة كل منهما بحياة الاخر وظروفه. تقاربا. تحابا ومع بداية الشهر السابع لمعرفتهما سألها الرجل الزواج، كانت امينة تخاف استعجال الزواج، ولأن الصراحة بينهما كانت واضحة، فسألته هل استعجاله بالزواج لينقذها من الجحيم الذى تعيش فيه مع اخيها والأمريكية، أجابها إنه منذ مقابلتهما الاولى ورغبته فى الزواج منها واردة فى تفكيره، ولانهما

كبيران بما فيه الكفاية لفهم كل منهما الاخر فكان يكفى شهران لتعارفهما، ولانهما كبيران وكل منهما يتمنى طفلا فالافضل ان يتزوجا قبل ان يصلا إلى الخمسين وربما تتحقق امنيتهما !

فكرت امينة فى منطقة، وطلبت منه ان يقابل الاخ الاكبر. كانت تتمنى أن يطلبها الرجل من اخيها امين كما حدث فى خطوبتها الفاشلة بعد وفاة الاب، لكنها لم تعد تتبادل الاحاديث معه، اصبح امين يتحاشى تبادل أى حديث معها حتى لا يغضب زوجته، حتى تحية الصباح نادرا ما يلقيها عليها، وتحية دخوله البيت يوفرها لزوجته، وتحملت امينة معاملة اخيها الجافة، كما تحملت تحرش زوجته بها بدون مناسبة.

لقد فهمت امينة رغبة الرجل فى الزواج منها منذ الشهر الأول لتعارفهما، وشعرت فى عمق إحساسها رغبتها فى الزواج منه، لكنها لم تندفع. خافت ان تكون حياتها فى البيت الذى لم يعد بيتها عامل ضغط عليها فتندفع قبل اقتناع كامل بالرجل، ومن ناحية اخرى خافت ان يكون اندفاع الرجل بسبب حالة نفسية يمر بها بعد وفاة والدته. ارادت ان يكون الزواج على أرض صلبة من مشاعرهما وليس بسبب حالات نفسية يمران بها. وكانت مقدرة عاما لعلاقتهما قبل إتمام الزواج. لم تكن مشاعرها باردة فقد كانت تشتاق لصحبة دافئة.

• • •

أمينة : «عندما يفترش ضوء القمر السماء فى ليلة اكتماله تثار اشجانى، واتساءل هل يمكن ان يحتمل فرد وحدة بدون مبرر. أو ظلما بدون مبرر. أو يذرف دموعه بدون مبرر؟! تحدث الرجل عن حساسيتى. هذه الحساسية لم توجد فجأة. هى موجودة من قبل ان أعرفه، ربما لم يكتشفها احد من قبل. ربما نضجت معى. وهذه الاشواق التى تعترينى لم تولد فجأة بمعرفتى به. هى موجودة من قبل. ربما شعرت بها كثيرا، لكنى اكتشفها من قبل او ربما نضجت اكثر من قبل، وعرفت لماذا ولاى شئ الاشواق تبتهل. لصحبة متوافقة مع رجل أحبه ويحبنى بنوع من الحب الهادئ لم أعرفه من قبل .. فرح اخى الاكبر بقرارى الزواج واستقبلنى مع الرجل بفرحة لم ارها فى عينيه من قبل، وقال إن فرحته بزواجى اكثر من فرحته بزواج بناته. ولم تغضب زوجته لصراحته، بل قالت إنه يعتبرنى ابنته الأولى، وقرر ان يقيم حفلا لإعلان زواجى، رجوته الا يدعو امين والملعونة زوجته. كنت اريد ان اجرح امين باى طريقة لانتقم منه لسوء معاملته لى إرضاء لزوجته.. اخبر أخى الاكبر امين عن زواجى واعتذر له عن عدم دعوته لحفل الزواج بناء على رغبتى. حاول امين ان يتحدث معى لكن الغصة كانت قوية فى قلبى فلم اتقبل اى حديث معه، وضاعفت زوجته التحرش بى لتتعجل خروجى من البيت

ولضمان عدم عودتى، ولم يتدخل امين!.. قبل حفل الزواج بيوم حملت ملابسى وما يخصنى فى البيت من أشياء صغيرة وما اشتريته من أثاث فى حجرتى إلى بيت الزوج. فكرت أن أترك لأمين الهدايا التى أهداها لى فى أعياد ميلادى ومن سفرياته فى زمن كنا فيه أحباباً. لم استطع تركها، بالرغم من شعوري الحالي نحوه أردت أن تعيش معى ذكريات محبتنا.

قصدت أن أفرغ حجرتى فى غياب أمين وزوجته عن البيت، وذهبت إلى بيت أخى الكبير لأخرج من هناك إلى بيت زوجى. أردت أن أصفع أمين رداً على إهاناتى الكثيرة التى وافق عليها من زوجته، وكانت الصفعة قوية عندما عاد من عمله ووجد باب حجرتى مفتوحاً والحجرة خالية من أشيائى الحميمة، فطلب أخى الكبير صارخاً إنه لم يكن ينتظر منى أن أترك البيت بهذه الطريقة التى تجرحه! وصلت صفعتى له واسترحت.. لكن بألم.. بعد أسبوع تحدث أمين مع أخى الكبير ليخبرنى عن رغبته فى زيارتى ليقدم لى هدية. كان الألم قوياً فى نفسى فقلت إننى لا أريد أن أراه ولا أريد هديته.

وفى لحظة كراهية عمياء متبادلة بينى وبين أمين أخى الحبيب قررنا المقاطعة.

• • •

فى السنة الأولى للمقاطعة فرحت الأمريكية بخروج أمينة من البيت وأقعنت أمين أن حياتهما الزوجية الحقيقية بدأت، واستمتع

معها بالبيت الخالى فلا توجد أمامه منغصات من أخته وزوجته، ارتاحت أعصاب زوجته، وحتى ترتاح أكثر طلبت منه أن يغير عقد الشقة باسمه حتى لا تعود أخته إليها مرة أخرى أو تطلب حقها فيها!! ولأن صاحب العمارة الطيب صديق والده قد توفى من زمن وأبناؤه الورثة يتعاملون بمنطق العصر بالنقود، فقد ساوموه على تغيير العقد. ووافقت الأمريكية على دفع ما يريدونه. ربما للحظة خاطفة شعر أمين بغيظ من زوجته وهى تدفع لهم بعد مساومة ثمانين ألفاً من الجنيهات، وكانت تريد أن تطرد أخته بعشرين ألفاً! وتغير عقد الشقة من اسم والده إلى اسمه مع زيادة فى الإيجار، وضمنت الأمريكية استقرارها، لكن هل تعيش بدون مؤامرات؟! لقد قررت الاستحواذ التام على أمين، فبعد أن ابتعدت أخته صديقته عنه، عملت على إبعاد إخوته الكبار، بالرغم من أنهم امتنعوا عن زيارته فى البيت بعد خروج أختهم أمينة إلا أنهم كانوا يطلبونه تليفونيا للسؤال عنه ولدعوته عندهم، كانت الأمريكية إذا ردت على مكالمة أحدهم تنكر وجود أمين فى البيت، وإذا رد هو كان ينهى المكالمة سريعاً، فلم يعد أحد من الإخوة الكبار يتصل به، وكان نادراً، ما يشعر أمين بحاجته لأحد منهم فيطلبه أو يذهب لزيارته بدون علم زوجته، أما أبناء الإخوة فقد امتنعوا عن زيارة عمهم بعد أن وجدوا عدم ترحيب من زوجته وتضرراً منه، وطلب منهم ألا يزورونه إلا

بموعد فلا يطبّون عليه فى أى وقت كما كانوا يفعلون من زمن عندما يذهبون للتسوق فى محلات وسط البلد، تعجبوا من تغير عمهم فقد تبدل مرحه إلى جهامة وصرامة فامتنعوا عن زيارته.

بعد أن انتهت الأمريكية من تنفيذ مؤامرة إبعاد إخوة أمين وأبنائهم بدأت فى مؤامرة إبعاد اصدقائه عنه بتصرفات رديئة معهم ومع زوجاتهم، وعدم تلبية دعواتهم، فى أول الأمر كان أمين يذهب لهم وحده ولم يعجبها هذا، فمنعته عن زيارتهم إلا فى صحبتها، وكانت تعتذر دائماً فلم يعد يزورهم، ولم يعد يدعو أحداً لزيارته، وكانت أمينة تسمع شكوى أصدقائه منه ومن زوجته كلما قابلت أحدهم صدفة فى مكان أو طريق، وقال لها أحدهم:

«إذا كان أمين أساء لك وأنت توأمه الروحى فكيف لا يسئ لنا.. إننا لا نفهم كيف استطاعت هذه المرأة أن تسيطر على رأسه وتجعله يبتعد عن أهله وأصحابه، لابد إنها قامت بعملية غسيل مخ له».. قالت له أمينة.. إنها تتصرف كأنها سيدة العالم!!

•••

فى السنة الثانية للمقاطعة ذهب زوج أمينة إلى أمين فى مكان عمله، عرفه بنفسه، استقبله أمين بترحاب ومودّة وفهم الرجل أنه يحب أخته التى يقاطعها وتقاطعه وقال إن النفوس لابد قد هدأت ليتصالحها، وأخبره أن أمينة حامل وكثيراً، تحلم به. وعده أمين

بالمصالحة وكتب له أرقام تليفوناته فى العمل فلا داعى لطلبه فى البيت . طلبه بعدها فقال له أمين إنه غير مستعد فى ذلك الوقت للمصالحة مع أخته . لم يخبر الرجل أمينة بتلك المحاولة التى قام بها للصلح مع أخيها إلا بعد شهور . بعد أن وضعت طفلهما . اتصل الأخ الكبير بأمين وأخبره أن أمينة وضعت طفلاً بعملية قيصرية فى مستشفى « . . . » ليسأل عنها وتكون مناسبة لعودة الوئام بينهما ، رد عليه ببرود أن يسلم عليها ، فتضايق منه الأخ الأكبر .

كان أمين وأمينة إذا إلتقيا فى طريق من طرقات وسط المدينة من يشاهد منهما الآخر أولاً يعبر الطريق إلى الجهة الأخرى ، وذات يوم فى السنة الثالثة للمقاطعة بينهما التقت أمينة بأمين وكان بصحبته الأمريكية فى مكان عام ، لم تعرفهما مباشرة فقد زاد وزن أمين كما زاد وزن زوجته ! ! عندما تعرفت عليهما لم تجد مجالاً للهروب فكانت فى مواجهتهما تماماً . خفق قلبها وألقت بالسلام لأمين ، رد عليها باقتضاب وبرود وسار مسرعاً مع زوجته ، وذات صيف فى السنة الرابعة للمقاطعة ، كانت أمينة بجوار زوجها فى سيارتهما فى إشارة مرور وسط المدينة وشاهدت أمين ، لم يشاهدها هو ، تساءلت فى نفسها هل يمكن أن يكون هذا أخاها الذى كان مليئاً بالنشاط والحيوية ، يسير هكذا متهالكاً يحمل مشتروات لبقرته ؟ ! قالت فى نفسها لماذا لا يصيبها ما يصيب البقر فى تلك الأيام ؟ ! وتنفق كما ينفق البقر ؟ !

● ● ●

أمينـة : «فى تلك اللحظات التى أشاهد فيـهـا أمين عن بعد أو وجـهـاً لوجه ولا يتحدث أحدنا للآخر أشعر بدموعى تسيل داخلى. أحيـاناً يهيأ لى إننى شاهدته وكان مهموماً. وأحياناً أتذكره فى موقف ما. أو مكان مـا. وأقول عندما كـان أمين أخى كـان يقـول كذا... أو يفـعل كذا... واتعجب من نفسى كـمـا يتعجب من يسمعنى، فالإنسـان يقول كـان فلان صديقى أو حبيبى، لكنه لا يقول كـان أخى.. أتألم لأن أمين جعلنى أقول «كان» لصلة الرحم بيننا».

الفصل السابع والأخير

أمـينة : «أرى أمين فـي وجـوه كـثـيـرة من الرجـال المصـريين، الوجـه الأسـمر والعينان الداكنتان والأنف المفلطح قليلاً والشعر الخفيف من الجبهة القريب إلى الصلعة والنظارة الطبية، أبتسم له في وجوه كثيرة أقابلها في أماكن عامة أو الطريق، أعرف أنهم ليسـو هو، أدرك أنهم ليسـو هو . الآن أبحث عنه في الطرق التي كنت اتحاشى السير فيها خوفاً من مقابلته. الآن أبحث عنه في وجوه الرجال وكنت أتوارى منه عندما أجده صدفه . . الآن» ! ! !

• • •

أحكمت الأمريكية الحصار على زوجها أمين ولتعوضه عن صحبة من كان يعرفهم جذبت أمريكان إلى البيت، رجال أكثر من النساء، عرفتهم من اجتماعاتهم في الأماكن التي يلتقون فيها، ومن مكان العمل الأمريكاني الذي التحقت به، ولم تعد تترك أمين يسافر وحده سواء للصحارى أو لمناطق الجبال، وكل عام تصحبه في إجازته إلى أمريكا، وإذا دُعي إلى مؤتمر علمي في أحد بلاد العالم تسافر على نفقتها بصحبته، حققت رغبتها تماماً في إبعاد أمين عن أهله واصدقائه، ومغامراته العاطفية لتكون هي مركز الكون والناس له،

كان الأخ الأكبر دائماً يقول لأمينة إن الدماء لا يمكن أن تصبح ماء في عروقنا . وصلة الدم بيننا قوية ولابد أن يعود أمين لصوابه ويعود لنا ، فلا يمكن أن يعيش هكذا مبتعداً عنا وعن الناس . وكان زوج أمينة يقول لها إن معظم الأمريكيات لسن مثل زوجة أخيها ، وقد عرفها على صديق له متزوج من أمريكية ولدهشتها من رقة معاملتها لزوجها ولصديقه ولما سألت صديق زوجها إذا كانت المرأة حقيقة أمريكية ، أم أنها عاشت لسنين قليلة فقط في أمريكا ، أقسم لها الصديق إن زوجته أمريكية من جدودها ، وإنه متزوجها من عشر سنوات ، وهي وطفلاهما يتحدثون العربية بطلاقة ، وإنها تحبه حقيقة وتحب أهله ، ووجدت أمينة إنه يوجد فرق كبير بين هذه المرأة التي لم تتعال على أهل ولغة زوجها ، وبين المرأة التي تزوجها أخوها . يومها بكت حزناً على حظ أخيها وحنقاً على اختياره !

• • •

في السنة الخامسة للمقاطعة بين أمين وأمينة ، طلبها الأخ الكبير وأخبرها أن أمين كان في أمريكا مع زوجته واصابته أزمة قلبية هناك ومكث عدة أيام في مستشفى . . . وقد حدثه بذلك عندما عاد وسأل عن أخويه الآخرين ، «وعنك أنت بالذات يا أمينة فأسألني عنه . . . وهذه أرقام تليفونه الجديد» . . . وطلبته أمينة ، جاء صوته لم يتظاهر بأنه لا يعرف صوتها ، فقد رد عليها مباشرة باسمها عندما سألته عن

صحته، سألها عن صحتها وزوجها وطفلها الذى لم يره، دعته لزيارتها ليراه ووعدها بالزيارة، سألها عن اسم طفلها، صمتت لحظة ثم قالت: أمين.. صمت لحظة وأنهى المكالمة، وخيل لأمينة أنها سمعت صوت الأمريكية الكئيب ينادى عليه.

تذكرت أمينة يوم اتفاقها مع زوجها على اسم الطفل، طلب زوجها إذا كانت بنتاً يطلقون عليها اسم والدته الراحلة، وطلبت أمينة إذا كان ولداً يطلقون عليه اسم.. أمين،، لم يتعجب زوجها من طلبها فهو يفهم أنه على الرغم من العداء الظاهر بينها وبين أخيها فهى تحبه ولابد إنه أيضاً يحبها.

•••

أمينة: «كان أمين مثل الجرح الدائم فى حياتى، بحبه ومشاكله وحرمانى منه.. منذ صبانا بحياته مع عمى، بسفرياته، بزواجه، وكنت أعتقد دائماً أن الحرمان من وجوده وصحبته لفترة لابد أن تنتهى. حتى الحرمان القوى بزواجه كنت أعتقد أنه لابد أن ينتهى. لم يوف أمين بوعده لزيارتى على الرغم من إلحاح أخى الأكبر عليه، ولم أيأس من عودته لنا على الرغم من مرور السنين التى تكومت وأصبحت عشرة، أقابله فى أحلامى، إحياناً أجده أمين المحب القديم الظريف.. وأحياناً أجده الشرير، أتحجج بحجج ساذجة لأذهب إلى محلات وسط البلد وأحوم حول منطقة بيتنا القديم، مثل أشباح

الروايات الكلاسيكة، ربما أجد أمين صدفة في الطريق، وأعرف إذا كان موجوداً أو مسافراً بمراقبة نوافذ الشقة، علمت يوماً من صديق مقرب له يقابله من وقت لآخر خلسة إنه كاد أن يطلق الأمريكية بعد مشاجرة بينهما، إنه هجر الأهل والأحباب من أجلها فلماذا تنكد عليه عيشته؟! فرحت بما سمعت وانتظرت بشوق سماع الخبر، ولم يحدث، ومع ذلك انتظرت عودته لنا ولم أفكر أن الحرمان الدائم ينتظرني، بعد عشر سنوات من القطيعة الحمقاء والفراق رن أمين ابني على التليفون وخفق قلبي وأنا أسمعه:

«أنا أمين.. وإنت أمين؟!» وناداني.. سمعت صوت أخي كأنه يأتي من أعماق محيط، سألته أين هو، قال إنه في مستشفى ويريد أن يراني، طلبت أخي الأكبر فقال إنه حدثه أيضاً وقد مضى عليه شهر وهو في المستشفى! ذهبت مع إخوتي الكبار... وأمام ذهول الأمريكية قفز أمين من الفراش واحتضننا بشوق، وظل محتضنني وهو يهمس.. سامحيني، وأنا أهمس.. سامحني.. وأمام ذهولنا سألتني زوجته إذا كان وقتي يسمح أن أقسم أيام الأسبوع معها لرفقة أخي لأنها لم تعد تستطيع أن تأخذ إجازة متصلة من عملها، وقد بقيت بجواره شهراً، وقال أخي الأكبر إنه سيشاركنا في العناية به لأنه لم يعد لديه انشغال بعمل، وكان تعليق الأخ الثالث على طلب الأمريكية إنها أخذت أمين لحماً وتركته لنا عظماً!!

أعربت لإخوتى عن فرحتى بعودة أمين لنا ، فالدم فى عروقنا لن يصبح ماء ، وإنه عندما يشفى إن شاء الله لن يفترق عنا أبداً ، ربت على ظهرى أخى الأكبر بحنان ، لم يستطع أن يتركنى فى ضلال أحلامى وأخبرنى أن أمين أصيب بالمرض الذى لا يرحم ! طلبت إجازة من عملى لأذهب إلى أمين كل يوم سواء فى اليوم المخصص لرفقتى له أو . . فى يوم أخى الأكبر وحتى فى يوم الأمريكية ، تحملت وجودى معها فى حجرة واحدة على الرغم من شعور الاختناق كأنها تسحب الأكسجين من الحجرة . اصطحبت أمين ابنى عدة مرات ، فكان أمين أخى يفرح بوجوده ويلاعبه ، كنت أريد أن أملأ قلبه بأية فرحة ، لم استطع أن ألومه على فراقنا الأحمق سنين طويلة ، حكى لى ، وحكيت له ، مثل أيام زمان عندما كان يأتى من سفرياته مشتاقاً ليحكى لى ، وحكيت له كما كنت أحكى ماذا فعلت فى غيابه ، أيام قليلة ، تصافينا فيها مثل الميلودراما الرديئة حيث يكتشف الفرد المحبين الحقيقيين فى حياته وهو على فراش الموت ! أقام العزاء أخونا الكبير فى بيته ، لم يرد أحد أن نذهب إلى بيتنا القديم . . لتقيم الأمريكية عزاءها بالخمور التى أتت على كبد أمين ، وبمساعدة الحالات النفسية الصعبة التى كان يمر بها بسببها . . . القاتلة .

نصحتنى زوجة أخى الأكبر أن أبكى عندما وجدت الدموع متحجرة فى عينى . . قلت لها : إننى بكيته سنوات عشر فجفت

الدمـوع في عـيني . . في مسـاء تلك الليلة وأنا جـالسـة بجـوار أمين الصغير أحكي له حكاية لينام وجدت نفسي أتمتم بأغنية فرنسية قديمة كنت أناجي بها أمين أخي في سفرياته القديمة . . صديقي . . حبيبي . . أخي – قل لي : ماذا نفعل بأمانينا على الأرض ؟ !

•••

في الذكرى الثانية لرحيل أمين ذهب الإخوة الثلاثة وأمينة لزيارته في مقابر الأسرة . كان اليوم جمعة وكان الجو حاراً ، بدأ الهواء الساخن محملاً بالتراب فأنهوا زيارتهم وذهبوا إلى بيت الأخ الأكبر حيث كان الاتفاق على اجتماع أسرهم هناك ، وجدوا في انتظارهم زوجات الإخوة وبعض أبنائهم وزوج أمينة وابنها أمين . جلسوا في بهو الشقة وقد أغلقوا نافذته الكبيرة المطلة على فناء العمارة .

سأل أحد الأبناء : من الذى قتل عمى أمين ؟ !

قالت أمينة : الأمريكية .

قال الأخ الثاني لأمين : كلنا قتلناه ، لو كنا احتضناه ما كان شعر بالقهر والوحدة .

قال الأخ الثالث لأمين : لم نبتعد عنه هو الذى اختار الابتعاد عنا . .

قالت زوجة الأخ الأكبر : نفر من أحضاننا وكلنا حاولنا .

قال الأخ الأكبر : أمين قتل نفسه . . حذرته كثيراً من أسلوب حياته وعصبيته والأجنبيات اللاتي كان يصاحبهن .

قال زوج أمينة : ليست كل الأجنبيات بسوء هذه الأمريكية .

سأل أمين الصغير : يعني إيه أجنبية ؟ !

احتضنه الخال الأكبر وقال وهو يتنهد : إيه ياسالم بك لو تعرف أن شقتك العظيمة احتلتها أمريكا ؟ !

قال أخوه الأصغر : هل سنتركها ترتع في شقة أبينا هكذا ؟ !

قالت أمينة - نسيتم أن الشقة باسم أمين الآن وأصبحت بالتالي من نصيب الأمريكية .

لاحظوا أن المكان الذى يجلسون فيه بدأ نور النهار ينحسر عنه وسمعوا صفير الهواء وصوت زوجة الأخ الأكبر وهى تهرول من الداخل وتصرخ حيث كانت قد ذهبت إلى المطبخ ، الدنيا لونها أحمر وقامت عاصفة شنيعة . . جروا إلى النوافذ المفتوحة أغلقوها ، وتجمهروا خلف زجاج نافذة يشاهدون المنظر ، وتوالت تعليقاتهم مضطربة .

إعصار . . نادر ما يحدث إعصار فى بلدنا ، أسودت الدنيا ، يوم القيامة ، ياساتر يارب . . صوت زجاج يتهشم . . عاصفة قوية من الصحراء ، يوم القيامة لم نشهد عواصف هكذا من قبل . . صوت شيء قوى فى الطريق يتهشم . . إعلان كبير وقع . . ابتعدوا عن الزجاج . . أين تركتم سيارتكم . . السيارات ليست مهمة ، ماما هل هذه حرب الكواكب كما شاهدناها فيلماً ؟ ! تعال ياأمين فى حضنى . . دقائق طويلة كأنها ساعات وبدأت العاصفة تهدأ والظلام ينقشع .

جلسوا حول مائدة طعام الغداء وهم لا يصدقون ما حدث وشبكات الإذاعة ومحطات التليفزيون المصرى يطمئنون الناس أنها كانت عاصفة قوية.. وهذه هى الأسباب.. تحدثوا عن العواصف القديمة، ولم تكن مثل هذه.. وحكى الأخ الأكبر عن عاصفة مماثلة، لكن بدون رياح قوية شاهدها فى منتصف الأربعينيات وكانت السماء لونها أحمر، أثناء حديثهم سمعوا رنين التليفون، رد عليه الأخ الأكبر، تحدث بالإنجليزية عدة كلمات استمع أكثر مما تحدث، وضع السماعة ونظر إليهم، كانت العيون تتطلع إليه، هز رأسه بشىء من الأسى وقال:

- الإعلان الكبير الحديدى الذى كان فوق شقة أبينا على سطح العمارة وقع من شدة العاصفة فأنهار سقف ثلاث حجرات.. وجرت الأمريكية من الشقة إلى الدور الأرضى حسبته زلزالاً مدمراً يصحب العاصفة، وسألتنى أن أقابل معها أصحاب البيت لأنها لن تستطيع التفاهم معهم وحدهم.

ساد الصمت بينهم لحظة.. تبادلوا النظرات لحظة، نظرات متسائلة.. غير مصدقة.. مبتسمة.. شاكرة.. وتوالت التعليقات..

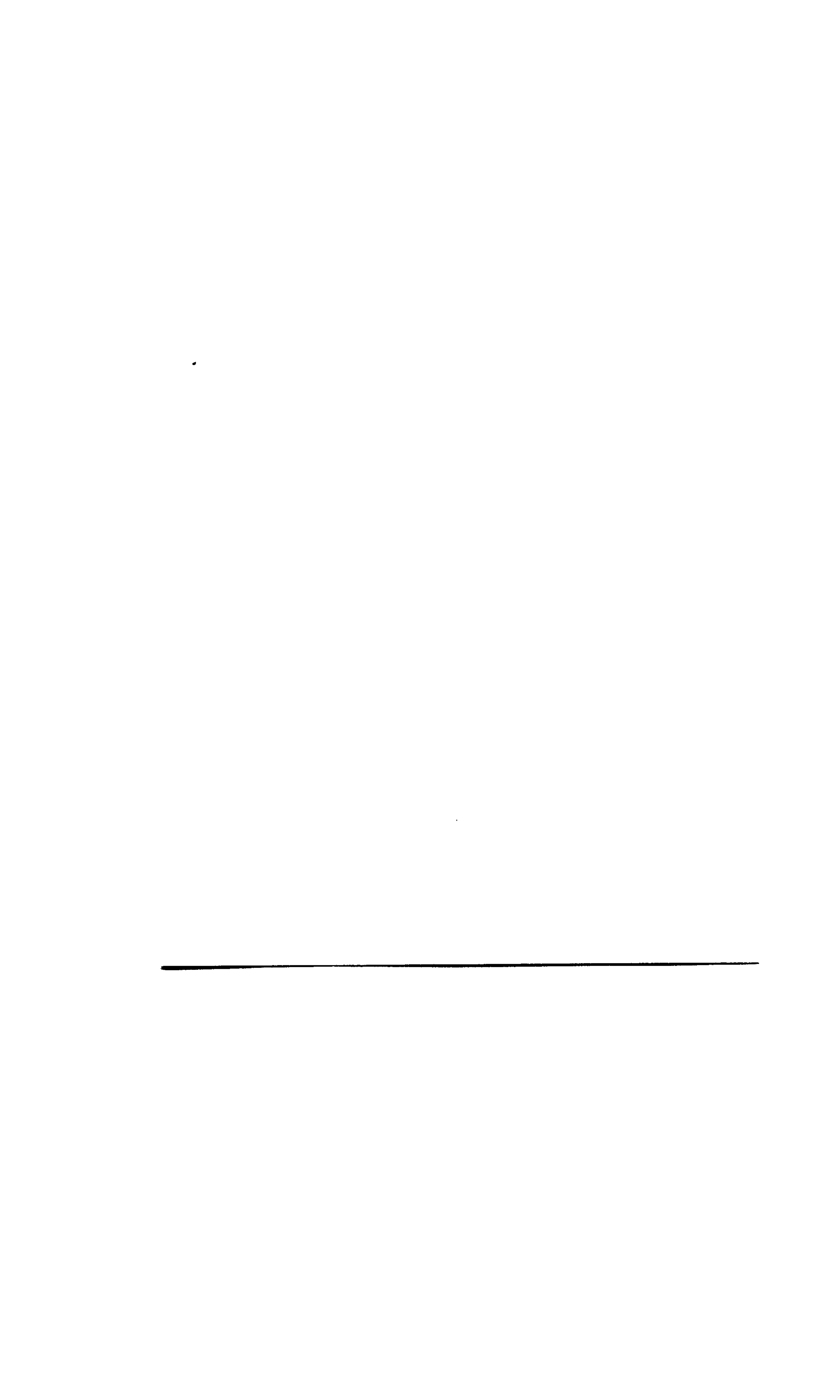
هل ستساعدها؟! إستغنت عن الكل.. دعها تتفاهم معهم وحدها.. إذا كنت أنا من أصحاب البيت استدعى مهندساً ينكس العمارة القديمة، ويأمر بهدم الدور السادس لصعوبة إصلاحه وتقابلنى

الأمريكية إذا أخذت من أصحاب البيت جنيهاً واحداً.. لتأخذ جزاء طمعها وجشعها.. لابد أنها عذبت أمين فانهد سقف الشقة انتقاما له منها فى ذكراه.. ياليته أنهد عليها.. هل ستساعدها؟! بأى قلب أساعدها.. أين ستذهب الأمريكية؟.. لأصدقائها فى السفارة أو المخابرات الأمريكية.. ليس لنا دخل بها.. لتذهب فى ستين داهية.

انتهت

يوميات امرأة مطلقة

رواية قصيرة



مونولوج

نعم سيدتي، لقد سمعنا منك كثيراً هذه العبارة. إن اتعس أيامك التي مررت بها كانت بالنسبة لتعاستك هذه الأيام ترفاً، نعم يا سيدتي. كان يوجد من يدللك ويتغزل في جمالك وهندامك وأناقتك وسحر شخصيتك. كان يوجد من يحبك حقيقة ويتمنى أن يعيش معك. وكان رنين تليفونك في المساء لا يشعرك بمذلة وحدتك هذه الأيام. لكنك لم تلتفت لصدق أفكارك وتبعت تضليل خيالك العاطفي. هل تأملت صورتك في مرآتك هذا الصباح؟! وجهك المجهد وعيناك الكسيرتان ونظرتك المهزومة وملابسك غير المهندمة وشعرك الذي ليس له منظر.

كان منظرك.. عفواً سيدتي لصراحتنا. كان منظرك مثل امرأة مطلقة حديثاً وليس لها أي أمل. مع أنك لم تكوني كذلك منذ عدة سنوات عندما كنت مطلقة حديثاً وحقيقة. كان الذي يراك يوم طلاقك وبعدها يظن إنك تستعدين لزفاف. عفواً سيدتي. لم تعيش تجربة المطلقات وقتها أنك تعيشينها الآن بسبب هجر حبيبك وجفوته. عفواً سيدتي، إنه كان مثل اللعبة الجميلة التي كانوا يحذروننا منها وقت الحرب إذا وجدناها في الطريق فلا نلتقطها.

لأننا بمجرد اللهو بها تنفجر في وجهنا . وأنت ياسيدتي التقطت هذه اللعبة من الطريق وفرحت بها وقلت إننا في وقت سلم فلا خوف ، لكن الأعداء ياسيدتي يتربصون بنا وها هي اللعبة الجميلة تنفجر في وجهك وتؤلمك .

سيدتي إذا تتبعنا الخط البياني للنفس نجده يرتفع قليلاً وينخفض قليلاً . يرتفع كثيراً وينخفض كثيراً ، تذكرين الخط البياني لنفسك عندما كان مرتفعاً كثيراً أول معرفتك به . وحسبت لخيالك الجامح أنه سيتعلق في سقف حجرتك من الارتفاع وسيبقى مرتفعاً مثل زينات الأعياد والأفراح . مرتفع بكل الألوان الزاهية للأمل والحلم . مرتفع في شمس الشتاء الدافئة وفي شمس الصيف الحارقة . مرتفع مع نسمات الليل المنعشة ، ومع نسمات الليل الباردة ، مرتفع ومعلق في الأشجار الباسقة وفي أضواء الليالي الحالمة . مرتفع مع خفقات القلوب المحبة والأجساد المرتوية مرتفع مع كل شيء . لكن الخط البياني للنفس ليست هذه طبيعته . وانخفض الخط البياني لنفسك يا سيدتي انخفاضاً ملحوظاً مثل درجات حرارة الجو في تغيير الفصول . معك حق ياسيدتي في سؤالك لنفسك ، هل يوجد أحد ينهي علاقة حب في الربيع ؟!

لقد كانت بدايتها ذات ربيع بين الحقول الواسعة والأشجار المزدهرة التي كانت رائحتها تملأ المكان . بين روعة الطبيعة في عيد

ذلك الربيع التقيت به. مدعو كما كنت مدعوة وسط أناس كثيرين، اصدقاء ومعارف هذه الأسرة الغنية التي تعرفت عليها خلال صديقة لك لقضاء يوم جميل في عزبتهم.. بالحركة البطيئة نصور سيدتي ذلك اللقاء الربيعي السعيد.. رجل في عمر النضج الأربعينى عرف إنك إمرأة مطلقة. تقدم إليك يعرفك بنفسه كأن نسمات الجو المعبقة برائحة الزهور تقدمه إليك ولم تدر ماذا جذبك له.. وجهه الأسمر الجذاب قوامه الممشوق اناقة ثيابه الرياضية، أم حديثه الذي كان يقطر عذوبة وقتها، حسبته أولاً رجلاً مطلقاً أو أرمل من هؤلاء الذين كنت تقابلينهم بالصدفة المرسومة من صديقاتك ومعارفك.

حسبته رجلا من هؤلاء الذين يبحثون عن امرأة مطلقة لترضي بالزواج منهم، حسبته واحدا من هؤلاء المرفوضين تماماً من أفكارك وما تودينه لحايتك المستقبلية.. حسبته رجلاء متزوجا يغازلك من خلف زوجته. وسألته بطريق ملتو عن حالته الاجتماعية.

سألته أين زوجتك بين الحسناوات الموجودات ابتسامته ملأت وجهه، إنه ليس متزوجا ولم يكن.. وأمام سؤالك الصامت. قال إنه لم يقابل من قبل التي تناسبه.. وعندما قلت له باتهام إنه لابد يطلب كمالاً مستحيلاً في امرأة. قال إن الحب الحقيقي هو الذي ينشده. وكان بريق عينيه مسلطاً على وجهك فخفق قلبك خفقه لم تشعري بها من زمن، وانطلق خيالك العاطفي يصور لك أنه هو.. وأنك هي

التي يبحث عنها.. لم تعرفى ياسيدتى وقتها أنه رجل شديد الاستقلال.. لا يحب وإن بدا عاطفياً في تصرفاته، إذا وجد نفسه منجذباً لامرأة فهو يبحث عن أخرى ليقسم عاطفته بينهما حتى لا تستولي واحدة على مشاعرة، لا يحب الارتباط وإن بدا أنه يبحث عنه.

لم تهتم سيدتي. بمعرفة شيء عن حياته السابقة أو الحالية، أو عن شخصيته، أعجبك أنه رجل أعزب لم يسبق له الزواج بخلاف الرجال الذين تقدموا لك في السنين السابقة بعد الطلاق، عفواً سيدتي. هل أخبرك أحد أنك مغفلة؟ فهؤلاء الرجال الذين رفضتهم تقدموا إليك بهدف الزواج، أما هذا الرجل.. سنترك لك أنت حرية الكلام.. لتحكي لنا. لعل الكلام يخفف عنك صدمتك.

أماني

شعور قبيح هذا الذى تشعر به المرأة المهجورة من الرجل الذى أحبته. شعور قبيح عندما تجده قد فضل عليها أخرى. الوجه الجميل يكون جميلاً من الشعور الداخلى للمرأة. عندما نظرت فى المرآة أدركت ما بى من تعاسة فانفجرت في البكاء. هل يمكن أن تتبدل ملامح الوجه هكذا كل من رآنى فى الأيام والشهور الأولى لمعرفتى به قال إننى أبدو جميلة كانت مشاعرى جميلة، مضافاً إليها ذلك الشعور السخى الذى كان يعترينى كلما التقينا. أعطانى لقب حبيبتى. وأحببت اللقب كما أحببت اسمى «أمانى»، قال إننى كل الأمانى التى كان يرجوها من الحياة. ياحياتى.. أجمل الجميلات تجد نفسها قبيحة فى المرآة عندما تشعر أنها مهجورة وأنها أصبحت غير محبوبة من هذا الذى أحبته تصيبها حالة إهمال لنفسها.

لم أحب أن أدخل فى مباراة خاسرة. إذا كان الرجل قد فضل علىَّ أخرى ماذا تنفع المحاولة لاسترداده، لم أفعل ما ألوم نفسى عليه حتى يفضل علىَّ أخرى، لقد خرج بها للناس وظهر معها أمام معارفى. إذا كان لا يشعر بى ولم يعد يحبنى؛ فمن العبث أن ألاحقه أو حتى أطلبه فى مجرد محادثة تليفونية، لم أرد أن تنتهى الخديعة بخداع نفسى.

يكفي ما حدث، لأستعيد احترامي لنفسي. حساسيتي الشديدة تضايقني، فلا أستطيع مجاراة العصر في الرداءة ولا أستطيع أن أكون قوية بوحدتي، أحملها على كتفي مثل الكبرياء، حملها ثقيل على كتفي، على نفسي، على قلبي وعلى جسدي.. وألححت في مقابلته، ربما وحدتي جعلتني أطلبه ولأعرف حقيقة تلك الأخرى.

اخترت مكاناً من هذه الأماكن المحاطة بالأشجار المزدهرة التي كنا نلتقي فيها في أوائل لقاءاتنا. اخترت المكان لأعيد ذكرى لا يذكرها، لم أقل له هل تذكر؟! فقد همست في نفسي أنا أنظر إليه وإلى المكان: «خسارة، لماذا نضيع عمرنا الجميل. لقد اخترتني كما اخترتك بحرية، والتقينا كما تلتقي الزهور بالشجر ذات ربيع. فرحت بك كما فرحت بي، وفرحتي جعلتني أعيش بأمل إنه يمكن أن يحدث بيننا شيء جميل، خسارة، لقد رفضت فرحتي».

جلست فوق كبريائي وسألته عن المرأة الأخرى، وتحدث بشخصيته المركبة وقال: «أحب أن أقول لك ملخصا شديدا وهو أني أحترمك. لم أحترم امرأة في حياتي كما أحترمك».

قلت له: «هذه مشكلتك التي قلتها لك يوماً إنك لم تحترم امرأة، ربما لذلك خفت من إحترامك لي». قال: «أنا أحترمك لأني أحبك».
قلت: «لا أدري إلى متى ستظل مكانتك في نفسي وأنت أصبحت

تعاملني بسخافة. تعبت من عدم ترحيبك بى فكيف تحبنى. ربما جئت تقابلني اليوم مضطراً، ولن أفعلها ثانية وأطلب مقابلتك».

وتحدث عن المرأة الأخرى بلا مبالاة وبلا احترام. وتعجبت، هل تحدث عنها هكذا ليريحنى. وشعرت بالحزن فى داخلى. أردت أن أقاوم مشاعر الحزن والحسرة والخسارة وأتحدث بمنطق، لكن أى منطق فى العالم يصلح مع مثل هذه الشخصية المركبة! أسئلة كثيرة لم يجب عنها. ميّع الإجابة مثل الزئبق كانت إجاباته عن أسئلتى.. مثل، ألم تشعر بسعادة فى علاقتك بى عندما كنت أنا وحدى معك؟.. ومثل، ألم تفكر فى الاستقرار العاطفى وأنت فى هذا العمر؟

كانت أسئلتى واضحة وإجاباته مائعة. حتى لا أخذ عليه وعداً أو استمراراً.. أو عودة. وإذا كانت نفسى ارتاحت لهذه المواجهة إلا أن الحزن فى نفسى زاد الحزن باليأس. لماذا يفسد الأشياء الجميلة، هذه التى كانت بيننا. لكنه لم يفسد شيئاً، هو هكذا. وأنا عرفت أخيراً، لم يكن حبه صادقاً. لم يعرف ماذا يعنى الحب وهذه الأشياء الجميلة، نظرت إلى المكان حولنا، لون براعم الشجر الأخضر. اللون الوليد للأخضر يذكرنى بتلك الأيام الأولى البعيدة، رائحة الزرع النابت وزهور الثمار.

فى آخر اللقاء سألنى عندما أجد وقتاً أطلبه لنتقابل، لم أرد عليه. شعرت بالغم جاثماً على أنفاسى، من الصعب التعامل مع إنسان ليس له عواطف محددة.

قال: «لا استطيع الاستغناء عنك، سأحدثك أنا». لكننى لم أشعر بالأطمئنان والأمل. وعاد الشك ينخر فى رأسى وقلبى وعظام جسدى.

مع الصديقات

قالت صديقة متزوجة : «لا يوجد حب حقيقى فى مجتمعنا الآن . لم يعد الحب كما كان من قبل ، الحب يتطلب ظروفاً مريحة ، ونفوساً رائقة ، أما الهموم التى نعيشها فهى تجعل من الحب زيفا» .

ضحكت صديقة أخرى متزوجة وقالت : «ربما لم نعد نرى الحب لأننا نجلس فوق الأربعين» .

قالت صديقة مطلقة وهى تشير إلىّ : «أبداً . . فنحن» . . تعنى هى وأنا . . «ننتظر الحب» .

قالت صديقة متزوجة : «حضرت عيداً للحب فى البلد الأوروبى الذى كنت أزوره فى العام الماضى وشعرت أننى أحب كل من حولى وأهدانى رجل زهرة . حقيقة الحب يحتاج إلى نفسية مستريحة» .

قالت صديقة أخرى مطلقة : «سأرسل له خطاباً أقطع علاقتى به . فهو يصنع مستقبله بعيداً عنى . هل سأظل هكذا أنتظر ، وهل يسمى هذا حباً ؟ !» .

قلت : «في عالمنا الآن لم تعد الأشياء تصنع تماماً ، ولا النظم تطبق تماماً ولا القوانين تنفذ تماماً فلماذا ننتظر من الحب أن يكون تماماً ؟ !» .

قالت صديقة متزوجة : «لم أعد أحب أحاديثكن. لم أعد أحب أحاديث القهر وفقد الأمل. الآن أنا أحب مصادقة الفتيات الصغيرات اللائى يحلمن وينتظرن تحقيق أحلامهن. اللاتى يمرحن ويضحكن. وأحب أحاديثهن التافهة عن الموضة ونوع السلاطة فى المطعم ومهرجان الآيس كريم الذى حضرته معهن فى فندق كبير. هل فكرت واحدة منكن أن تحضر مثل هذا المهرجان، الآيس كريم الآن يوجع بطونكن».

قالت صديقة مطلقة : «ياست هانم قلنا إننا ننتظر الحب أين القهر وفقد الأمل».

وتحدثن عن العمر والإحباط نكاية فى صديقتنا المتذمرة علينا وفكرت، لم نعد فى عمر نحتمل الاحباط، أم أصبحنا فى العمر الذى لا يوجد فيه سوى الإحباط؟ لم نعد فى العمر الذى تزينه أحلام اليقظة المفرحة. أم أصبحنا فى العمر الذى لا يوجد فيه سوى أحلام اليقظة المفرحة؟! لم نعد فى العمر الذى يحتمل الوحدة المستديمة أو أصبحنا فى العمر الذى لا يوجد فيه سوى الوحدة المستديمة؟.. لم نعد فى العمر الذى يحتمل اللعب على العواطف. أم أصبحنا فى العمر الذى لا يوجد فيه سوى اللعب على العواطف؟!

تحدثنا عن الأشياء الجميلة التى كانت فى الماضى، ليس فقط فى أسعار الأشياء، وندرة وجود ما نحتاج إليه، ولكن أيضاً عن أخلاق الرجال والمجتمع ككل.

قالت صديقتنا المتذمرة علينا: «لن تنفعنا هذه المناحة التى نقيمها كل يوم على الماضى، فسرادق العزاء الذى نقيمه داخل أنفسنا خاو. لا أحد يأتيه ليعزينا على فقد العزيز الغالى المسمى بالماضى، فالذى فات. فات والذى فات مات. استيقظن يا صديقاتى».

قالت صديقة مطلقة: «نحسدك على تفاؤلك وتطلعك الدائم إلى الحاضر والمستقبل».

ضحكت وقالت موجهة حديثها لى وللصديقتين المطلقتين:

«لا استطيع أن أفهم لماذا تردن الزواج مرة أخرى، كل واحدة منكن حرة مع نفسها مع أشيائها. مع وقتها، استمعتن بالحب، فلماذا الزواج؟!».

قالت صديقة مطلقة: «أنت لا تعرفين خوف الليل وهوان الوحدة، بالرغم من وجود ابنتى معى أشعر أننى فاقدة شيئاً كبيراً فى حياتى، وابنتى لا تعارض فى زواجى مرة أخرى، وبالرغم من احتياجى للزواج إلا أن حالتى النفسية.. لا أدرى هل تسمح بهذا؟!».

سألتها إحدى الزوجات: «هل مازلت تحبين مطلقك؟!».

قالت: «كان فى فترة من حياتى وانتهت».

قالت المطلقة الأخرى: «لقد رفعت شعاراً: انظر خلفك وابتسم.. بدلاً من انظر خلفك فى غضب».

قالت إحدى الزوجات موجهة الكلام لنا. نحن المطلقات الثلاث: «لماذا لم تذهبن إلى اجتماع المطلقات الذى حدثتكن عنه من فترة، وأعطيتكن عنوان الطبيبة النفسية الممتازة التى تقيم هذا الاجتماع كل أسبوع، وتقوم بهذا العمل الممتاز متطوعة لا تأخذ أجراً».

قالت إحدى المطلقات: «أعتقد أن هذه الاجتماعات شيء مقبض للغاية».

قلت المتزوجة: «لماذا لا تجربين». ثم نظرت وسألتنى «أمانى.. هل مازلت لا تشعرين أنك مطلقة؟!».

نظرت إليها ولم أرد.. وابتلعت دموعى خفية فى إحباط صامت.

مونولوج

لم ندر ياسيدتى لماذا استعدته. بعد أن عرفت طبيعته المتقلبة، وحبه لنفسه لدرجة تصل إلى هوس الأنانية، ولا يهتم بمشكلات الناس ولا يحب أن يدخل أحد فى حياته. بعد أن عرفت أنه بالرغم من معارفه الكثيرين وأصدقائه فهو منفصل عنهم نفسيا.. بعد أن علمت عدم انسياقه وراء عاطفة حب واحدة وعلاقاته دائما ثنائية وأحيانا ثلاثية !! ربما انتظرت وقتا كافيا إلى أن شعرت أنه بدأ يمل صحبة الأخرى وأعدته إليك. بانتظارك الملول أعدته. بالصبر اليائس أعدته. بالدعاء الذى لم ينقطع ببعض ما تبقى لك من حيلة أعدته. ربما لتعيدى كرامتك. لتعلميه كيف يحترم مشاعر امرأة تحبه. ربما ليفهم. لكن ماذا يفهم ياسيدتى !؟!

سيدتى لقد كنت مثل المقامر الذى يخسر كل نقوده على مائدة القمار ويستدين ومع هذا يستمر فى المقامرة. ربما ضربة حظ تعوضه الخسارة.

وتأتى ضربة حظ صغيرة فيكسب قليلا.

ويستمر فى المقامرة ربما تأتى ضربة حظ كبيرة. ويخسر. وتستمر الخسارة ويستمر فى للمقامرة. سيدتى هكذا أصبحت حياتك معه.

فهل آن للمقامرة أن تكف عن لعبة القمار والأمل فى ضربة حظ كبيرة؟!

مشكلتك ياسيدتى أن كل من أحببته بما فيهم الذى تزوجته تخيلت إنه قديس، أو كنت تحاولين أن تجعلى منه قديسا، وتظنين.. بالسذاجة أفكارك أن الناس الدين يشاهدونه معك بظنونه كذلك. لكن كل الذين يعرفونه على حقيقته كانت الحقيقة أمامهم، ربما البعض أشفق على حالك معه. سيدتى لقد استمرت مقامرتك بالعودة إليه شهوراً طويلة، وأنت فى تلك الشهور تفرحين ساعة وتغتمين ساعات طويلة. إلى أن جاء الخريف، وشعرت بانقباض هائل، وقلت انها سحب الخريف المقبضة وقدوم الشتاء. سيدتى هل نجعل أيامك كلها فصولا للربيع والصيف حتى تبتهجين ويعود إليك تفاؤلك؟!

نحن فى خدمتك سيدتى. لكن نريد أن نذكرك بشئ هام، ليس قدوم الشتاء هو ما يضايقك. لقد كنت ذات شتاء ليس ببعيد فى أشد حالات تفاؤلك عندما اعتقدت أنك التقيت بالرجل المثالى.

الرجل الذى عقدت عليه الآمال . ونعتقد ياسيدتى إن سبب اكتئابك هو هذا الرجل بالذات . بدليل عودة الربيع مرة أخرى وأنت مكتئبة !

مهما قلت سيدتى إن الحيوية من داخل الفرد والأمل من افكاره . فهذه الأشياء -معذرة لثقافتك المتنوعة - لا تتحقق إلا مع الآخرين . فإذا كنت قد استنفدت حيويتك فلأنه لا أحد ، يغذى منبعها فنضب . وإذا كنت فقدت أمالك فلأن لا أحد يحققها معك . ربما أسوأ شئ يصيب الإنسان هو فقدان الامل . سيدتى فى أحلك فترات حياتك التى مررت بها وأكثرها يأسا كان لديك أمل . . أمل التخلص منها فى أحلام يقظتك الوردية . أما الآن فى هذه الفترة من حياتك إنعدم الأمل تماما . حتى الأشياء الصغيرة التى كنت تشترينها أو تفعلينها وتبهجك لم تعد تثير فيك البهجة . وتنتظرين ببلاهة معجزة تنتشلك . الآن سيدتى فى هذا الزمان لم يعد مكانا للبهلاء .

سيدتى . . لقد استمعت لأحاديث غريبة من معارفه . إن الرجل الذى لم يتزوج من قبل لا يمكن أن يتزوج من امرأة مطلقة أو أرملة حتى وإن تجاوز عمره الأربعين أو الخمسين . وبسبب كبريائك وحساسيتك المرهفة لم تدخلى معهم فى مناقشة حتى لا تفضحين

تطلعك فى الزواج منه. وظننت بالسذاجة أفكارك أن حبيبك ليس المقصود بتلك الأحاديث المقصودة أمامك. فهو قد عاد إليك أو أنت قد أعدته إليك وتتقابلان من وقت إلى أخر وتخرجين معه من وحدتك المزرية. لكنك شعرت باليأس يلفك تماما عندما استمعت إلى تلك الأحاديث الغريبة وشعرت لأول مرة منذ طلاقك بوضعك الاجتماعى إنك امرأة مطلقة.

جمعية المطلقات

بيت صغير . فيلا من دورين . تحوطها حديقة صغيرة فوق الباب لافتة عليها اسم طبيب متخصص في الأمراض الباطنية ، وبجواره اسم الطبيبة . متخصصة في التحليل النفسي . طرقت الباب . فتح لي رجل أسمر ابتسامته سبقت سؤالي عن الطبيبة ورحب بي وقادني إلى حجرة كبيرة في الدور الأرضي . مجموعة من النساء جالسات ، وفي الوسط جلست الطبيبة . عرفتها من ترحيبها . لقد حدثتها في اليوم السابق وعرفت منها موعد الاجتماع .

قالت الطبيبة : « اعرفكن بصديقتنا الجديدة أماني سقدمة البرامج المشهورة بالإذاعة » . قلت مبتسمة . . ولا مشهورة ولا أي شئ » . . .

وضحكت بينما راحت الطبيبة تقدم لي الموجودات .

قالت الطبيبة : « أعرفك أولاً باجتماعنا قبل أن نستأنف الحديث . الراحة النفسية نجدها مع الذين في ظروف متشابهة . إجتماع المطلقات مثمر ومفيد لكل واحدة فالاندماج مع الآخرين في مشاركة التجارب تجنب الفرصة للشعور بالشفقة على النفس .

وأيضا فرصة أقل للشعور بالشفقة على الآخرين . . وأريد أن اؤكد على قولي الذي أقوله دائما ، إن اجتماعكن لا يعني أنكن منعزلات

عن المجتمع. أو أن المجتمع يخرجكن منه ويتجاهل مشاكلكن. إجتماعنا هنا للتفريج عما فى نفوسكن وأفضل من جلسة مع صديقة تتشاركان فيها المرارة والكراهية لجنس الرجال. اليوم تتحدث صديقتنا«س» وهي مطلقة بعد عشر سنوات زواج، لها طفلان وزوجها تزوج من إمرأة صغيرة. تفضلى أكملى حديثك:

قالت المطلقة:« شعرت بصدمة كبيرة. لم أصدق أنه طلقنى، وبقيت شهورا طويلة أفكر أنه سيعود لى. كلما رن جرس التليفون ظننت إنه هو. وعندما يأتى لزيارة طفلينا أنتظر إشارة منه أو تلميحا أنه سيعود لى. والغريب أنه أصبح حنونا معى ومع الطفلين. لكن لم أعد أحتمل حنانه وزياراته ورؤيته هكذا بلا أمل. وقلت له إنه من الافضل ألا أراه ويذهب الطفلان إليه لزيارته. فهمت أنه يشعر بالذنب تجاهي لذلك كان يحاول أن يكون حنونا لكن شعور الغضب والإذلال النفسي جعلانى أقرر ألا أراه».

قالت الطبيبة:« عندما يريد أحد الزوجين الانفصال والآخر لا يريد يصبح الفقد مثل صدمة الفقد بالموت. بعض المطلقات يتعلقن بأمل العودة لأزواجهن. ويعتبرن نهاية زواجهن اقسى فشل وأنهن فقدن شخصياتهن. ويأخذن وقتا للتغلب على هذه المشاعر حتى يعتبرون أن الزواج ليس هو فقط أهم شئ فى حياتهن»..

قالت المطلقة التى تركها زوجها ليتزوج أخرى :« لا أستطيع أن أفهم إلى الآن لماذا تركنى وما هو العيب فى . أعتقدت أننا فى زواج ناجح .. ماذا حدث ؟ . عملى مهم لأنى فيه أنسى مأساتى ، لكن لا أشعر بالهدوء . مضت سنتان ومازلت أشعر بغضب ، وأنه خدعنى وظلمنى . لقد ساعدته فى شق طريق عمله . وكرست وقتى لتربية طفلنا ويتركنى هكذا من أجل فتاة صغيرة لعبت بعواطفه ؟! . لقد رأيتها يوما وبدت لى إنها بلا مشاعر . أنانية ومستغلة وتعجبت كيف يكون بهذا الذوق الفظيع ؟ » . . .

قالت الطبيبة :« المرأة الجديدة جزء من الصدمة وليس الطلاق فقط . فأنت تشعرين أنك خدعت فى زوجك واعتقدت لعشرتكما أنك تعرفينه تماما . لم تعرفى نقط الضعف فيه . ربما تكون حياة زوجك الجديدة تحديا له ويريد أن يحقق نصرا فيه . وربما لم يجد فى حياته الجديدة ذلك السحر والافتتان الذى فكر فيه . وربما وهو يشعر بسعادة فى حياته الجديدة مازال يندمر ويندم على فقد حياته القديمة .

قالت المطلقة :« أرجو أن يندم ويعود لى »

قالت الطبيبة لى :« أمانى . هل تريدين الحديث اليوم عن قصة طلاقك أم تريدين الانتظار ليوم آخر حتى تشعرى بالألفة معنا . »

دارت عيناى بين النساء الجالسات ، شعرت أننى اختلفت عنهن .

قلت :« ليست لدى قصة طلاق . ولم أشعر أننى أمرأة مطلقة . لم يكن لدى مشكلات أمومة ولا مشكلات مادية . أو سكنية أو نفسية . مشكلتى أننى لم أشعر أننى أمرأة مطلقة إلا بعد أن فقدت الأمل فى الارتباط بالرجل الذى أحببته بعد الطلاق . وسمعت لغوا من معارفه بما معناه أن الرجل الذى لم يتزوج من قبل لا يفكر فى الزواج من مطلقة . لا أريد أن أضيع وقتكن يبدو إننى حضرت خطأ .

قالت الطبيبة :« بالعكس يا أمانى مشكلتك مهمة جدا وهى نظرة المجتمع للمرأة المطلقة . وهذا ما سنناقشه معا فى الاجتماع القادم» .

الوحدة

عندما علمت أنه لم يترك الأخرى بالرغم من عودته لي : لم أصدق . ذهبت لأتحقق مما سمعته في كل مكان تعود أن يذهب إليه ، وكنا أيضا نذهب معا . في أماكن وسط المدينة . في نادى رياضي : في حديقة فندق . وشاهدتهما معا : راقبتهما معا . أولا بجنون : ثم بحزن : ثم بتقبل للأمر الواقع . هكذا هو يحدثني ويقابلني كما لو كانت الأخرى ليست موجودة في حياته .

عندما اتخذت القرار بالعودة إليه أو باستعادته من الأخرى وبدء حياة جديدة معه كنت مخطئة لأني لم أساله إذا كان مستعدا ليتخذ مثل قراري : كنت فرحة بالأحلام الصغيرة التي يحققها لي ، عندما وجدت أنه لا يتحدث عن مستقبلنا معا . ويهرب من أية كلمة أمل ، عندما فهمت أنه لا أمل ولا حلم يتحقق معه أقنعت نفسي إن أبقى هكذا معه ، ليكون صحبتي من وقت لأخر ليخرجني من وحدتي . لكن الأمل أقوى من تقبل الأمر الواقع ، والحلم يلح في حياة مستقرة معه . وهذه المقابلات لم تخرجني من وحدتي . والوحدة تولد الخوف من الحياة كلها . وأصبحت أتصرف بعصبية معه . فيقول إنه يبتعد عني لأنه يشعر أنه يضايقني . لم أستطع أن أقول له إنني أعرف سبب

ابتعاده عني أيام طويلة حتى لا يجرحني بكلمة أو تصرف. ولم أرد أن يعاتبني مثلاً لماذا تحدثت عن الأخرى بلا مبالاة، وتأكيده أنه لا يستغنى عني كما حدث من قبل إلى أن شاهدتهما في المسرح وكانت معهما أمه. خفق قلبي، سقط قلبي.

كنت جالسة في البنوار مع صديقتين وزوجيهما عندما شاهدتهم يدخلون صالة المسرح، تراجعت في مقعد خلفي حتى لا يراني

لقد عرفني بأمه ذات يوم في أوائل شهور معرفتنا. وقال بعد تلك المقابلة أنها أعجبت بي وتعجبت لأني مطلقة وقالت له من هذا المغفل الذي يترك امرأة مثلها؟! وفرحت وقتها لأن أمه أعجبت بي ولأنه لن يكون مغفلاً!!

لكنها لم تدعني مرة أخرى. سألته عنها كثيراً. وعندما كانت ترد على مكالمتي التليفونية كانت تتخلص بهدوء من محادثتي ولم أفهم وقتها. ربما بدأت أفهم عندما سمعت من أصحابه أن الرجل الذي لم يتزوج من قبل لا يمكن أن يتزوج من امرأة مطلقة. ربما فهمت أن هذا رأى أمه الذي هو رأى العامة والجاهلين في المجتمع، أما هو، المثقف، المتفتح لا يمكن أن يكون هذا رأيه. عندما شاهدتهما مع أمه في المسرح سقط قلبي. وأيقنت أن هذا هو رأيه أيضاً.

لم أهتم كثيراً بالمرأة الأخرى إلا بعد أن شاهدتهما مع أمه. واستعلمت عنها وعرفت أنها موظفة في فرع آخر من فروع البنك

الوطنى الذى يعمل به، وأسرتها تملك عمارة جديدة كبيرة وتصغره بخمسة عشر عاماً وتصغرنى بثمانى سنوات. بالرغم من هذه الحقيقة الواضحة أمامى قررت أن أقابله لأتحدث معه، وأنا لا أدرى ماذا سأقول له: من شهور حذرتنى صديقتى المقربة من النكسا التى يمكن أن تعقب مثل هذه العودة لحب بلا أمل : لم أصدقها وقتها: لكن بعد استمرار شعورى بالإحباط صدقتها وأخيرا نصحتنى أن أتركه تماما وأشفى من هذا المرض، فأنا فى حالة مرض وليست حالة حب...
وقابلته. لأساله ماذا أكون بالنسبه له. ولماذا يقابل الأخرى بعد أن تحدث عنها بلا مبالاة وكيف يعرفها بأمه بعد أن تحدث عنها بدون احترام: قابلته لا حتياجى لكلمة حلوة. ولمسة حنان ولمحة أمل. لكن لم استطيع أن أحدثه فى شئ من هذه الأشياء التى تؤرقنى ولم أسأله سؤالا من هذه الاسئلة التى تؤلمنى. خفت أن يجرح مشاعرى. شعرت بجفونى ثقيلة وأردت أن أنام.

أثار جلوسى معه فى مقهى الفندق كل ذكرياتى معه. نظرت إلى الوردة الوحيدة فى الإناء الصغير على المنضدة بيننا. رفعت الإناء لأشم الوردة. قال إن الوردة صناعية. قلت: «تحسبها من بعيد أنها وردة صناعية من دقة صنعها وتماسكها. ولا تستطيع أن تكشف أنها حقيقية إلا إذا اقتربت منها كثيراً ستجد لها رائحة جميلة وتعرف أنها حقيقية.. هكذا أنا».. أخذ الإناء من يدى وشم الوردة وابتسم.

كنت أريد أن أرفع من روحى المعنوية قليلا فشبهت نفسى بالوردة: حكى لى عن المسرحية التى شاهدتها وتأكدت أنه لم يرنى ليلتها. سألته من كان بصحبته فى المسرح. قال أسم صديق له أعرفه. وهززت رأسى. سألته عن صحة أمه، تمتم بكلمات مضطربة. أنها بخير. هززت رأسى وأنا أتذكر أنه بعد مقابلتى مع أمه أصبح يؤجل تعارفه على والدى. شعرت بجفونى ثقيلة وأردت أن أنام، وقررت للمرة الألف ألا أقابله، فالوحدة أفضل من الإحباط. فهل سأتحمل وحدتى؟!

جمعية المطلقات

قالت أمرأة مطلقة فى الخامسة والثلاثين من عمرها كلاما مشاعاً عن المطلقات. إنهن مطمع الرجال، وأن النساء المتزوجات قريبات أو صديقات المطلقات يخشين على أزواجهن منهن، وحكت حكاية سخيفة عن معاملة صديقة لها متزوجة اتهمتها بطريق غير مباشر فى محاولة سرقة زوجها! وإن المطلقات فى مكان العمل موضع شائعات وحركاتهن مرصودة وعموما فنظرة المجتمع للمرأة المطلقة فيها شك وإنها هى السبب فى الطلاق، وتعالت تعليقات بقية المطلقات فى الاجتماع تأييداً لكلامها.

لاحظت الطبيبة النفسية تململى من الجلسة فسألتنى عن رأى؟

قلت: « ليس بالضرورة أن تكون المرأة مطلقة لتكون مطمعاً للرجال. وليس بالضرورة أيضاً أن تكون موضعاً للشائعات، وأن تفقد احترامها من نظرات الشك فى مكان عملها لمجرد إنها مطلقة. أنا شخصياً لم أشعر بهذا الاتهام فى مكان عملى، ولم أشعر باهتزاز الاحترام لشخصى من زملائى. ومعظم صديقاتى متزوجات ويستقبلننى فى بيوتهن بترحاب وأخرج للسهر معهن وأزواجهن ولم أشعر بخوف إحداهن على زوجها منى، وأعتقد أن المشكلة النفسية

التى تعانى منها المرأة المطلقة تجعلها تتخيل أشياء وهمية وتشك فى المجتمع حولها وفى تصرفاته حيالها » . .

نظرت إلى إحدى المطلقات وقالت :« أستاذة أمانى لماذا تتعالين علينا وأنت نفسك قلت فى الاجتماع السابق إنك لم تشعرى بأنك امرأة مطلقة إلا بعد أن صدمتك نظرة المجتمع وحبيبك بالذات . إننا لا نتخيل أشياء فهذه حقيقة تعانى منها » .

حدثت همهمة بين النساء . قالت الطبيبة :« أخواتى لا نريد أحاديث جانبية . إننا هنا للأحاديث الجماعية لتفصح كل امرأة عن المناطق المحطمة فى نفسها ، لنعرف المخاوف المشتركة وعدم الأمان . بهذه الأحاديث الجماعية تتغلبن على مخاوفكن وتقوين داخلياً . فالتقوية الداخلية للمطلقة مهمة حتى تستطيع أن تتعامل مع المجتمع خارجياً . اتهام نظرة المجتمع للمطلقات حقيقة وأيضاً كلام أمانى حقيقى . . . المهم ماذا تشعر به المطلقة تجاه نفسها . الحديث يساعدكن على تخريج ما فى نفوسكن من الم واستياء ، وعندما تستمعن إلى أحاديث بعضكن تفهمن لماذا تحطمن صوركن لأنفسكن وتتغلبن على الخيالات السلبية » .

قالت إحدى المطلقات :« دكتورة . الطبيب يعرف نظرياً الام المريض الذى يعالجه لكنه لا يشعر بما يعانيه من الم إلا إذا كان قد جربه من قبل » . . ابتسمت الطبيبة وقالت :« أفهم ماذا تقصدين فأنا

زوجة لطبيب وأم لبنتين فى الثانوى والجامعة وأعيش زواجا موفقا، ولا أريد أن أضيع وقتكن فى سرد حكايتى القديمة، لكن باختصار شديد فهذا زواجى الثانى، لقد عانيت من فترة طلاق طويلة وأنا فى أول عمرى الشاب ومرضت لأنى لم أحك مشاعرى لأحد. لذلك بعد دراستى المتخصصة قررت الاهتمام بمشكلة المطلقات النفسية. وأخيراً قمت بهذه التجربة العملية لجمعية المطلقات لأساعدكن».

سادت فترة صمت وسألت الطبيبة السؤال الذى يحيرنى هل كانت الزيجة الأولى لزوجها الثانى؟!

فهمت الطبيبة قصدى وقالت: «توجد نظرية تقول إن لكل امرأة مطلقة يوجد رجل مطلق. وقد وجدت صحة هذه النظرية من قراءاتى وأبحاثى التى قمت بها أثناء دراستى فى الخارج».

شعرت بإحباط وقلت: «يعنى زوجك كان مطلقا أيضاً».

قالت الطبيبة: «نعم وكان فى مثل عمرى وليس لديه أطفال مثلى. التقينا أثناء دراستنا فى الخارج وعندما طلب منى الزواج تعجبت أنه يفضلنى عن كثيرات لم يتزوجن من قبل، وقال لى جملة لم أنسها، إنه يستطيع أن يفهم ظروف امرأة مطلقة. كما إنها تستطيع أن تفهم ظروفه عن فتاة لم تتزوج من قبل. من جملته تلك قمت ببحث هذه النظرية».

قالت إحدى المطلقات :« فى مجتمعنا الرجل المطلق بسهولة يتزوج من فتاة لكن نادرا ماتتزوج امرأة مطلقة من شاب لم يسبق له الزواج» .

وقالت مطلقة أخرى :« أعتقد أن الرجل المطلق لا يستطيع أن يعيش بدون زواج لأنه تعود على أن يجد من يخدمه ، أما المرأة المطلقة إذا كانت لا تعانى من مشكلات مادية وسكنية فمن الأفضل ألا تتزوج مرة ثانية» .

قالت الطبيبة :« إذا كان الرجل يفتقد الخدمة ، فالمرأة تفتقد الصحبة حتى فى الزواج السيئ توجد بعض المزايا للصحبة ورفض الزواج مرة ثانية يكون بسبب تجربة سابقة والشك فى الجنس الآخر . لكن الإنسان عندما يحب ويكون محبوباً فهذا أعظم دواء للجروح السابقة» .

مونولوج

سيدتى لماذا مشاعرك أصبحت مشوهة، وتشعرين بإحباط من أقرب الناس إليك وأبعدهم عنك، وكان إحباطك واضحا على وجهك مع شعور بالغيرة وأنت تنظرين إلى صديقتك وزميلتك التى قابلتها فى الصباح. لقد لاحظت إنها كانت مشرقة ومتفتحة للحياة عندما أخبرتك أنها قضت سهرة ممتعة فى بيتها مع زوجها وأصدقاء امتدت إلى الساعات الأولى فى الصباح. وذكرت لك ربما عن قصد أو بدون قصد أسماء أصدقاء وصديقات مشتركين بينكما. ربما شعرت بالغيرة لأنها لم تدعك إلى تلك السهرة. وبدأت تتحرك فى نفسك عقدة لم تلتفت لها من قبل وهى أنك امرأة وحيدة ومطلقة فلم يعد يدعوك أحد لسهراته. سيدتى لا تنظرى إلى جانب واحد من العملة وتقولى إن صديقاتك واصدقاءك زهقوا من صحبتك. فصديقتك هذه ليست كل صديقاتك. هى تتصرف بعفوية التقاليد العتيقة ولا تدعو إلى سهراتها سوى الأزواج والزوجات وكانت تدعوك مع مطلقك. الآن تفهمين لماذا كانت تقدمك لضيوفها على أنك حرم فلان ولا تقدمك على إنك المذيعة أمانى أو مقدمة البرامج فى الإذاعة، هى ليست مثلك ياسيدتى أنت تحبين عملك وتحبين أن يعرفك الناس

بصفتك العملية، وإن كان عملك هذا لم يقدم لك شهرة ولا عائدا مالياً مجزياً فالبرامج الثقافية التى تقدمينها فى البرنامج الثانى والثالث والرابع لا يهتم بها أحد . ومع ذلك تحبين أن يتحدث بصفتك العملية وليس بصفتك الاجتماعية، وصديقتك هذه تحب أن تقدم النساء بصفتهن الاجتماعية فاعذريها سيدتى إنها لا تدعوك إلى سهرتها فهل ستقدمك على أنك المطلقة أمانى ؟!

سيدتى لقد شعرت بالغيرة من صديقتك لأنها سهرت طوال الليل سهرة مبهجة وكانت منتعشة فى الصباح، أما أنت فكنت نائمة طوال الليل مع أحلامك المزعجة فقمت على هذه الصورة المحبطة الخاملة فى الصباح!

سيدتى حدثناك من قبل عن أهمية العناية بصحتك النفسية التى ينعكس سوءها على صحتك البدنية. لكنك أصبحت مستسلمة للقلق وتنامين كل ليلة بخوف كأن الغد يحمل لك مقلباً وليس أملاً نعم سيدتى نعرف أن تصرفات حبيبك هى السبب ونفذ قرارك أنت بالإبتعاد وإبتعد هو!. فلماذا تعذبين نفسك بدعواتك عليه؟. ماذا أفادك السخط عليه الكراهية تزداد فى نفسك. والحقد يشوه صورتك. ماذا استفدت من القلق؟. ويزداد حقدك عليه كلما تعمدت مقابلته صدفة. أو عرفت أخباره من معارفه، ووجدته أنه مستمتع بحياته. وكأنك تلومين الذى لا يلام، لماذا وهبه وأعطاه!..

سيدتى بدلاً من الكراهية التى تمتص حيوتك، وبدلاً من الحقد على العالم كله لماذا لا تبدلين مطالبك؟.. الدعوة الحلوة تحلى النفس وتجعل الطمأنينة فى القلب ببريق من الأمل. لماذا لا تطلبين من الله أن يعوضك عن عذابك وآلامك ويوفقك إلى صحبة جميلة تزيل عنك كآبتك وتمحى حقدك وتجدد حيوتك. الذى حدث لك ليس غريبا أو مصادفة، أنت عرفت من فترة ولم تفهمى، أو فهمت ولم تريدى أن تفهمى أن هذا الرجل ليس لك. فكانت محاولات العودة إليه ثم الجفاء ثم العودة ولم تفهمى من أول صدمة أنه ليس لك وأنك كنت نزوة من نزواته. ربما فهمت هذا لكنك لم تريدى أن تفهمى.

سيدتى لا تضيعى وقتك فى الحقد الذى يجهدك، فى انتظار المستحيل. قولى لنفسك أنه انتهى من حياتك. قولى لنفسك.

إننا لا نصلح معاً. أو إنه لا يصلح لى فأنا لا أتحمل هفواته وتصرفاته والأفضل ألا يكون هو. لا تضيعى وقتك فى هلوسة الخيالات المريضة والأيام الأولى معه. كل شئ فى أوله جميل. لا تضيعى وقتك فى البكاء على ما فاتك. جميل إنك جلست مع نفسك أخيراً وحدثتيها بصراحة. كنت محتاجة إلى هذا الحديث مع نفسك، فهذا الرجل ليس رجلا لامرأة واحدة، وقد عرفت أن زميلته الصغيرة الغنية وافقت عليها أمه، وتحدث معارفه عن قرب زواجه منها، ومع ذلك شوهد مع امرأة آخرى فى ملهى ليلى!!

أفيقي سيدتي وطهري نفسك بصلاتك ودعواتك الحنوة وليست الحاقدة. إدهني وجهك بهذا الكريم المنعش. غيرى تسريحة شعرك. تجملى لنفسك. ولا تعودى إلى الدعوات الحاقدة.

نعم سيدتي أنت بشر، ولأنك بشر فلك إرادة لابد أن تستخدميها لضبط نفسك وتطهير قلبك.

أماني

قضيت ليالي كثيرة مع نفسي أتساءل عن الظالم والمظلوم والإحباط وجرح الكبرياء، وكانت تسيل دموعي في حالة مفزعة وحقيرة من انخفاض الروح المعنوية. وقلت لنفسي أخيراً إذا أردت الإرتفاع بروحي المعنوية على أن أتقبل الأشخاص كما هم وأضعهم في موضعهم الصحيح ، لا أزوقهم بخيالي وألبسهم ما لبس فيهم. أيقنت أن المشكلة الحقيقية مع نفسي. هي مشكلتي أنا وليست مشكلته هو !

مشكلتي أنني محتاجة إلى رجل يحبني، يحتويني ويكون صحبتي الدائمة، فزوقته بخيالي وأمالي ووضعت عليه مالبس فيه ليكون رجل أحلامي. عندما عرفت أنه مع وجه جديد غير زميلته الصغيرة المرشحة للزواج منه لم أشعر بالغيرة أو المهانة. شعرت بالقرف . فأي حب في العالم يمكن أن يستمر بلا مبادلة أو يستمر مع الخداع؟! وبدأت أحل مشكلتي . ألا أحتاج له، فلم أطلبه لأسأل عليه أو ليقابلني. ولم أعد أذهب إلي الأماكن التي يتردد عليها لأقابله صدفة. وعندما طلبني أخيراً وسألني أن أقابله بعد أيام طويلة من ابتعاده، لم أفرح كما كنت أفرح من زمن، ولم أرفض. ليكن صحبة لأوقات قصيرة بدلاً من الوحدة الدائمة. وقابلته.

لقد كانت الليالى السابقة الطويلة بعذاباتها. وتلك الآهة الكبيرة التى خرجت من أعماقى وقرارى تجاهه.. كل هذه الأحداث جعلت فى داخلى نوعاً من السكينة النفسية. حديث عام دار بيننا وتعجبت من شوقى إليه الذى كان.. ودموعى التى كانت.. وحقدى ودعواتى عليه!...

تعجبت إننى لم أتعلم إلا مؤخراً أن أضع كل شخص فى مكانه الصحيح. ومكانه الا التصق به. سألته سؤالاً عابراً بلا اهتمام: هل ستتزوج؟».

تعجب من سؤالى وقال إن هذه الفكرة لم تطرأ على رأسه مجرد الفكرة. تعجبت من نفسى إننى ارتحت لإجابته. قال: «لماذا سألت هذا السؤال».

قلت: « مجرد سؤال».

قال: « وهذه إجابتى».

حدثنى عن أماكن كان فيها . لم أساله كان مع من ؟ فهى أماكن لا يذهب إليها الفرد وحده.

حدثنى عن امرأة اجنبية أرسلها له أحد معارفه ليجد لها عملا فى ملهى ليلى. لم أسأله لماذا هو بالذات يقوم بهذه المهمة. لاحظ هدوئى وعدم معاتبتى له.

فسألنىّ بنبرة صوت حنونة أفهمها جيداً وهو يمسك يدى: «مازلت تحبيننى . أليس كذلك؟!».

سحبت يدى من يده وقلت له: « حددت علاقتى بك فلا توجع رأسى » . . فوجئ بإجابتى وسألنى أن نذهب إلى مقهى فى حى الأزهر لنشرب الشاى الأخضر الذى أحبه . . فى اليوم التالى قالت لى زميلة وصديقة فى العمل: « رأيتك بالأمس فى ساحة الحسين . كنت أجلس مع أقارب فى مطعم مرتفع عن الساحة ، وقلت لا يمكن أن يكون هذا الرجل حبيبك . منظركما لم يكن فيه انسجام اثنين محبين وكنت أنت بادية الحيرة . تسيرين فى اتجاه ثم تسيرين فى اتجاه آخر »

قلت لزميلتى : « فعلا ليس هو » . كأنى أنفى تماما وجوده فى حياتى .

المرأة عندما تجد الرجل الذى تحبه لا يبادلها الحب . لا يعتنى بها وفوق كل هذا يخدعها ويخونها تنفى وجوده من حياتها . سأنفى وجوده من حياتى حتى للجن الأزرق . .

لكن العواطف لا تنتهى فجأة . الحب لا ينتهى فجأة . أحياناً يأتنى الشوق إليه زاحفاً مثل الجيوش الزاحفة فى صمت الليل . تسيل دموعى قليلاً . أشغل نفسى بأعمال يدوية . أعد طعام العشاء لوالدى بدلاً من أن تعده أمى ، وأشاركهما جلستهما حتى وإن لم اتبادل معهما الكلام . والغريب أن أصبح يسأل عنى هو من وقت لأخر . ويطلب اللقاء وأقابله . أحيانا أضبط نفسى وأنا فرحة فى طريقى إلى لقائه . وأحيانا اؤنب نفسى لماذ أقابله . ولما وجد أننى أعامله

كصديقة وليس حبيبة أصبح يحدثنى عن النساء فى حياته وهذا لم يعجبنى. فأنا لست طبيبة نفسية أقوم ببحث عن شخصيته المركبة.

لقد كنت أحبه. هذا الجلف ألم يقدر مشاعرى؟! أيقنت أن هذه العلاقة ثقيلة لا أفهمها ولم يعد وجهه هو الوجه المريح الباسم الذى اشتاق لرؤيته. لم تتبدل ملامحه . نظرتى هى التى تبدلت، والويل للرجل الذى تتبدل نظرة حبيبته له.

السهرة

قالت صديقتى المضيفة :« مرحباً بك يا أمانى من زمن لم تحضرى سهراتنا». سلمت على الموجودين والموجودات فى سهرة صديقتى أو الاجتماع الذى تدعو له صديقاتى المتزوجات من حين لآخر فى بيوتهن. تدعين صديقات وأصدقاء الزمن الجميل. زمن صداقتنا وزمالتنا فى الجامعة بالرغم من أننا نعمل فى أعمال مختلفة. كان فى بيتها ثلاثة أصدقاء وزوجاتهم، وصديقتان وزوجاهما. وصديقة لم تتزوج. وأنا. ثم جاء وجهان جديدان لشاب وفتاة من أصدقاء جدد لصاحبة الدعوة أو لزوجها.

قالت الصديقة التى لم تتزوج :« بعد هزائم كثيرة فى حياتى ارتفعت فوق هزائمى وأعيش الآن فى قوة نفسية عظيمة». ثم مالت على وكنت أجلس بجانبها همست فى أذنى« ماذا فعلت فى هزائمك ؟». قلت لها هامسة :«تكورت فى نفسى». قالت لى بحماس :« ارتفعى ولا تتكورى فى نفسك» قلت لها :« أحاول أولاً أن أفرد جسدى المتكور ونفسى المتكورة وليأخذ هذا دوره بعدها أستطيع الارتفاع فوق هزائمى». سأل أحد الأصدقاء صديقتنا التى ارتفعت فوق هزائمها كيف فعلت هذا ؟.

قالت : « بدأت هذا الارتفاع عندما علمت أن الرجل الذي أحبه تقدم لخطبة أخرى ورفضته . علمت أن خطيبته لم يعجبها ما عرضه عليها من مهر وشبكة وقالت إن ما يقدمه لها ليس برستيجى » .

ضحكنا من طريقتها في سرد شماتتها بالرجل وسألتها صديقة هل عاد لها بعد معرفة أن ما يقدمه ليس من مقام الأخرى ؟ . قالت : « فعلا حاول العودة لى . حقيقة أن أرتحت لما وجدته هرم كما هزمنى لكنه مادام فكر بالزواج من أخرى ، سيفكر مرة ثانية ويتركنى ، وقلت لن أخدع مرة ثانية وتركته » .

قال صديق : « عمل الإنسان الذى يحبه لا يخدعه . يملأ حياته ونفسه ويكون له سدا مانعا أمام عواصف خداع الناس » . قالت صديقة : « الرجل بعمله يستطيع الاستغناء عن المرأة أما المرأة فلا تستطيع . قليلات من استغنين بعملهن عن الرجال ، لكن في أعماقهن ، أشك في هذا . لابد أن تكون هذه المرأة فقدت كل أحلامها وقتلت خيالها حتى تستطيع الحياة بدون رجل » .

قال صديق : « ياستات من قال لكن إن الرجل يستطيع الحياة بدون امرأة » . . قالت الصديقة التى لم تتزوج : « لا داعى للفلسفة إننا لا نستغنى عنكم وأنتم لا تستغنون عنا » .

قالت صديقة : « كل شئ يتغير في الكون ماعدا العلاقة بين الرجل والمرأة العلوم التى كان يعرفها الناس من قرون بعيدة تغيرت والطب يتغير والملابس . كل شئ يتغير ماعدا العلاقة بين الرجل والمرأة . » .

قال صديق للصديقة التى لم تتزوج.. الم تيأس من انتظارها للزواج أو على الأصح من انتظارها للرجل الذى تريد أن تتزوجه؟!

قالت: «أقول لك. أنا عندما أقف فى الطريق انتظر سيارة أجرة لمدة طويلة أقول فى نفسى لابد أن تأتى سيارة أجرة توصلنى لهدفى مهما انتظرت. وهذا يحدث فعلاً. وهكذا أقول بالنسبة للزواج إننى مهما طال بى الانتظار سيأتى من يوصلنى لهدفى. يعنى الزواج يا جماعة قلت لكم إننى ارتفعت فوق هزائمى». وضحكنا.

تحدثنا عن رجل مشهور. عرفناه وصادقناه فى فترةبعيدة من حياتنا فى أول تخرجنا وعملنا. تحدث صديق عن امرأة ثرية كانت تطارده. وقال آخر إنه كان متوهج الخيال والكذب وكان يحكى عن النساء كما لو كان هو الرجل الفحل الوحيد فى البلد. قال آخر: كان الرجل خفيف الظل وحكاياته الغرامية مسلية. سألتنا صديقة هل حكى لكم عن علاقته بمدرسة الألعاب الرياضية التى كانت تعلمه تدريبات رياضية لتقوية العلاقة الجنسية؟!

وضحكنا. وذكرتنا صديقة عندما صحب الرجل فتاةنعرفها فى نزهة وعضها فى كتفها، وجاءت لنا الفتاة تحكى باكية عن صديقنا الكبير أنبناها لأنها خرجت معه وحدها ولما قابلناه، وعاتبناه قال لنا: إنه حاول أن يدخل الفتاة فى تجربة لأنها كانت بلا تجارب، ولما أنبناه. وهل تعضها قال صاحكاً: لأنها رفضت التجربة وضحكنا.

وقالت الصديقة المضيفة لزوجها إن الرجل الكبير كان يحب صداقة الشباب وكنا نلتقى به دائماً فى مجموعة فقال لها إنه لا يتهمنا.. وربما تعجب الوجهان الجديدان فى سهرتنا من تخففنا من ذكرياتنا.

الضحك الذى ضحكته فى السهرة أنعشنى، وشعرت إننى استطيع الارتفاع فوق هزائمى.

جمعية المطلقات

قالت الطبية النفسية : الآن على كل مطلقة أن تعيد التفكير في حياتها الزوجية وتختبر كل تصرف بل وكل كلمة قادت إلى نهاية الزواج. ربما إعادة التفكير تظهر لها الوجه الحقيقي للزوج وتفهم أخطاءه وأخطاءها تجاهه. المهم أن تعرف المطلقة الأخطاء التي حدثت في حياتها الزوجية حتى لا تقع في نفس الأخطاء إذا لم تفعل المطلقة هذا. أي تقوم بتقييم لحياتها السابقة في الزواج سيتكرر الخطأ مرة أخرى وستمر بنفس المصاعب والمشاكل السابقة، إذا كانت المطلقة تشكو دائماً أنها ضحية وتتهم مطلقها، ستنتهي بشعور دائم بالشفقة على النفس وهذا الشعور لا يساعدها على عبور الأزمة، فهو شعور يقود إلى لا شيء . ومن ناحية أخرى شعور الشفقة على النفس حماية لها من معلوماتها عن نفسها لذلك أنصحكن أن تراجعن بأمانة مع أنفسكن الأخطاء في حياتكم الزوجية.

قلت : «يا دكتورة كل مطلق ومطلقة يحب أن يسرد أخطاء الآخر ليعطي تبريراً معقولاً للطلاق من الصعب أن تجدى من يعترف بأخطائه. «قالت الطبيبة» : لذلك أريد منكن أن تفكرن وحدكن في الأخطاء التي وقعتن فيها». قالت مطلقة : «الرجل المطلق لا يشعر بما

نشعر به بعد الطلاق ولا يمر بأزمة مثل الأزمات النفسية والاجتماعية التى نمر بها نحن المطلقات».

قالت الطبيبة: «حقيقة بعض الرجال المطلقين يأخذون مسألة الطلاق بسهولة ويمرون بالتجربة بدون أزمات شديدة وهذا تبعاً لطريقة حياة الرجال فهم أكثر حركة من النساء وينسون مشاكلهم فى علاقات عاطفية قصيرة أو الانهماك فى أعمالهم، وهم لا يبتعدون عن المجتمع». قالت مطلقة: «الرجل المطلق يدعى فى كل مجتمع بينما المرأة المطلقة لا يدعوها أحد».

قالت مطلقة أخرى: «من عدة سنوات شاهدت فيلماً للمخرج إنجمار برجمان وكان اسم الفيلم على ما أذكر - مشاهد من زواج - وهو يظهر مشاهد لزوجين بعد طلاقهما ثم عودة زواجهما. وقد حدثت علاقة متينة بينهما، أصبحا عاشقين، ليس بطريقة عاطفية ملتهبة من خلال الجنس بل من خلال تقاربهما والعمق فى مشاعرهما، لقد توافق معا بعد ما تبين لكل منهما أخطاؤه السابقة».

قالت الطبيبة: «هذه المشاركة فى إعادة تقييم الزواج وقبول المشاركة من جديد بين الزوجين تشفى الجرح القديم للطلاق، لكن هذا يحتاج إلى استعداد الاثنين للعودة إلى علاقتهما الزوجية وهذا يحتاج إلى ثقة وتسامح من الجانبين». قلت: « أعتقد أن عودة الزوجين

المطلقين لحياتهما الزوجية تكون في حالة وقوع الطلاق بسبب الغضب بينما كل منهما يحب الآخر».

قالت مطلقة في مقتبل العمر: «إننا هنا نتحدث عن الحالة النفسية والعاطفية لأننا جميعاً من النساء العاملات والمثقفات ليس لدينا مشاكل مادية. لكن إذا نظرنا إلى الغالبية من نساء وطننا المطلقات نجد أنهن يعدن إلى مطلقيهن بسبب الحاجة المادية وليس بسبب مراجعة الأخطاء السابقة ويستمر زواجهن ليس بسبب التقارب والمشاعر العميقة التي تحدث بينهن وبين أزواجهن لكن بسبب الحاجة المادية. إننا هنا نجلس ونسرد مشاعرنا ونقول لم يعد بيننا وبين أزواجنا ألفة ولا معاملة حسنة ولا قوة أمل في الاستمرار، ولا يوجد سوى الازدراء لذلك حدث الطلاق بينما توجد هذه الأشياء للكثيرات ويستمر زواجهن أو يعدن لأزواجهن بعد الطلاق . هل يمكن أن تجمعي هؤلاء النساء وتجعليهن يتحدثن عن مشاعرهن بينما هن محتاجات إلى لقمة عيش وإلى مكان يأويهن؟! إننا هنا مطلقات مرفهات».

ساد الصمت بيننا لحظات ثم قالت الطبيبة: «توجد جمعية في حي شعبي تابعة لجهة رسمية تقوم بخدمة المطلقات المحتاجات ماديا وهذه الجمعيات لابد أن تكون أكثر انتشارا وهذه مسئولية الدولة.

أما جمعيتنا فأنا أقدم ما أستطيعه من مساعدة لاعادة التوازن النفسى للمطلقة وإذا كنتن تجدن أننا نضيع الوقت هنا بلا فائدة فأخبرننى ونفض هذه الجمعية».

تعالت أصوات المطلقات ووقفت مطلقة شابة قالت بصوت مرتفع : » إننا نقدر مجهودك يادكتورة والتى تجد أنها تضيع وقتها هنا وأننا مطلقات مرفهات لا تحضر اجتماعنا»..

أماني

نزل على الخبر كالصاعقة، بالرغم من أننى كنت أضع فوق رأسى مانعة صواعق، من عدم الاهتمام به والسؤال عنه، من تبدل نظرتى إليه ، من خروجى إلى الأصدقاء والصديقات ، من ترحيبى بأية دعوة لزيارة أو رحلة فى نطاق العمل، اعتقدت أن مانعة الصواعق ستحمينى من أى خبر عنه. منذ شهور لم أقابله بموعد أو ألتق به وحدى. التقيت به عدة مرات صدفة بدون أن أتعمدها . فى النادى الرياضى الذى يذهب إليه التقيت به مع صديقة.

فى الطريق التقيت به وسلمت عليه من بعيد. التقيت به عندما ذهبت لصرف شيك جاءنى من أخى فى الخارج على هذا البنك الذى يعمل به. وكانت تلك اللقاءات باردة مثل لقاءات زملاء العمل البعيدين. ومع ذلك نزل على خبر زواجه كالصاعقة. ربما بالرغم من ابتعادى عنه وإنكارى لوجوده فى حياتى، كنت أنتظر أن يشعر بحقيقة حبى له ويعود إلى بصورة أريدها. ربما كان ما يواسينى أنه قد تعود على حياة العزوبية وأنه سيمضى حياته إلى أن يموت معربدا مخادعا. ربما إذا كان تزوج من الفتاة الصغيرة التى شاهدتها معه فى المسرح كنت ساعذره على اختباره فهى تصغرنى. جميلة وغنية

أيضا . لكن أن يتزوج امرأة أرملة وفي مثل عمري الأربعيني فهذا ما أزعجني وآلمني . فهل استطاعت الأرملة أن تقنعه بنفسها في شهور قليلة ولم استطع أنا أن أقنعه بنفسي لمدة ثلاث سنوات ؟ . هل تزوجها لأنها أرملة وليست مطلقة ؟ ! . هل لأنها ليست موصومة بأنها هي السبب في فقد زوجها كما توصم المطلقة بأنها السبب في الطلاق ؟ ! هل لأنها تملك فيلا بدورين ولها ابنة وحيدة متزوجة في الخارج وتسافر لها كل سنة ؟ ! .

قال لي صديق يعرفة من القليلين الذين يعرفون قصتي معه : « أعرف أنك ستتألمين ، لكن لا تظني أنك الخاسرة . لاتقعي في خطأ المقارنة إنها أجمل منك أو أنثى عنك . هو لم ير عمق مشاعرك وانجذب لسطحية الأمور ، لست مؤمنة . . الشر الذي حدث لك وتظنيه شرا بعد حين ستجدينه خيرا لك ، لا أقول لا تحزني . بل دعي الحزن والألم يأخذان وقتهما » . . لكنني شعرت بنقص وكراهية لنفسي . لابد إنه لم يحبني . لابد إنه لم يكن مرتاحا معي . لابد إنني كنت أضايقه .

مرت ليال كثيرة مزعجة . أقوم مذعورة من نومي ، ربما من حلم مثل الكابوس ، أو من شئ مزعج أخفيه عن نفسي وهو أنني لن أستطيع أن أحب اخر . أو لن أجد من يحبني . أقوم من نومي أتصبب عرقا مثل المحموم ، أخاف الحياة . مشاعر رديئة سيطرت علي وتراءت

لى الفترة التى قضيتها معه . ثلاث سنوات فى لقاء وفراق وحب وغضب . كنت أختفى أو يختفى ثم نعود . واعتقدت اننا فى إحدى عودتنا سنبقى معاً دائماً . سألتنى أمى لماذا أنا حزينة فهل طاردنى مطلقى ؟!. كدت أقول لها طردنى حبيبى من حياته. اختنقت بالدموع . وقال لى أبى بحنانه الوقور وفهمه لحالتى أن أسافر لأخى الذى يعمل فى فرنسا وأمضى معه بعض الوقت فهو يطلب سفرى بالحاح...

قابلت صديقاتى المقربات بعد أن عرفن الخبر . قالت صديقة :

«تخيليه فى منظر مضحك واضحكى. ضعيه فى موقف حرج واضحكى. إلعبى بخيالك معه . تخيلى زوجته الأرملة وهى تعامله كأنه زوجها الراحل واضحكى يا أمانى .. فهو لا يستحق أن تحزنى من أجله» .

لكن خيالى كان غير ذلك. لم استطع أن أضحك . كنت أتخيله منتشياً مسرورا، سعيدا بكل ما تحمله كلمة السعادة من معان مبهجة. كنت أتخيله على الشاطئ الجميل الذى يقضيان فيه شهر العسل اتخيلهما بملابس البحر ولحظات الحب التى لا تنتهى. وأحزن فى نفسى..

قلت لصديقاتى إن الرجل عندما يريد امرأة يفعل المستحيل لينالها وإن كان هذا المستحيل ضد أفكاره. يجد المبررات لتصرفه.

حتى وإن كانت المرأة ذات سمعة سيئة كما قالوا لى. إذا أراد الرجل فلا شئ يقف أمامه عقبة. هكذا اقتنعت من تجارب الحياة ومن الأمثلة التى أراها وأسمع عنها. قلت لصديقاتى إن هذا الرجل متعدد العلاقات النسائية فهل سيطيق الحياة مع امرأة واحدة في الزواج؟!.

قالت صديقة: « لابد أن الأرملة فهمته جيداً بتجاربها فى الحياة كما سمعنا عنها. ولن تعطيه الأمان فيلعب مع أخرى. ستجعله دائما فى قلق، فهذا النوع من الرجال لا يقدر عليه سوى مومس من الدرجة الأولى تفهم نوعه وتحتفظ به وربما تضجر هى منه وتتركه».. وقالت صديقه..

«حمار لم يقدرك وسيقع فى شر أعماله».. فهل إرتحت من تحليل صديقاتى؟!..

مونولوج

سيدتى إذا هو حمار كما قالت صديقتك. فهل كل الذين أحببتهم من قبل كانوا حميرا بما فيهم الذى تزوجته؟!.. هل لك جاذبية شديدة للحمير ؟!.. إذا كان حماراً فلماذا تغضبين!.. هل تطلبين من حمار أن يقدر مزاياك ويفكر كما تفكرين؟!. سيدتى.. لاداعى لسب خلق الله، وتعالى نفكر بهدوء. فليس كل الناس يفهمون ما تقولين مثل العواطف الناضجة والصحبة المتفاهمة، ليس كل الناس يفهمون ما تقدميه من البرامج الثقافية عن الحب. وتأملات«بسكال». وسلم الحب عند «أفلاطون». والحاجة للآخر عند «سارتر». وقصص الحب التى رواها «هيرودوت»و«بلوتارخ» عن الشخصيات العظيمة فى التاريخ.

إن ما تقولينه سيدتى معقدا بالنسبة لهم. الناس الأن يفهمون أكثر فى التكنولوجيا وأرقام الحسابات والكمبيوتر. هذه الأشياء المعقدة فى نظرك! سيدتى.. الرجال الآن زاد طمعهم وأنت ليس لديك مال مثل الذى تملكه الأرملة التى تزوجها حبيبك. وتخشين تغيير سيارتك الصغيرة القدمية بواحدة جديدة حتى لا تضطرين

لسحب كل رصيدك من البنك وربما لا يكفى أيضا . ولا تملكين فيلا بدورين ولا حتى شقة خاصة بك . مكانتك العملية وأخلاقك الحميدة وتربيتك الراقية كلها أشياء لا يطمع فيها معظم الرجال الآن .

ولا حتى الجمال والحيوية . فلا تتعجبين من زواج المومسات من رجال مشهورين أو أصحاب أعمال مرموقين، ولا تندهشى من القبيحات فى الخلق والمنظر وهن يتأبطن أذرع الرجال ويتحكمن فيهم وفى حياتهم . أسألى أى رجل من هؤلاء الرجال لماذا تزوج من مثل هؤلاء النساء ؟

ليس بسبب جمال عيونهن أو جمال أخلاقهن . أسالى كم تملك تلك المرأة . أو ماذا تملك لتثير طمع الرجل . ومع ذلك لا تسمحى لليأس أن يمتطى كتفيك ويجلس فوق رأسك باسترخاء .

سيدتى . . قال لك طبيبك بالانجليزية . . استرخى . . فلن تشفى من أمراضك الحقيقية والوهمية إلا بالاسترخاء والراحة النفسية .

قال لك الطبيب : إن الإنسان لا يحصل على كل مايريده وعليك أن تعددى مزاياك وما حصلت عليه واقتنعى بالواقع . . واسترخى . .واقتنعت سيدتى بكلام طبيبك وقررت أن تغمضى عينيك عما يدور حولك . ولتستمتعى بحياتك وبالواقع الذى تعيشين فيه .

لكنك في اليوم التالي استمعت إلى تعليقين تأثرت بهما وأصبح من الصعب عليك الشعور بالراحة.

قال لك رجل كبير إن زوجته في الصباح سألته أن يأخذ بيدها لتقوم من الفراش. عبارة بسيطة لكنها لها معنى كبير لك. فمن الذي سيأخذ بيدك سيدتي عندما تكبرين؟!

وسمعت تعليقاً آخر من إحدى صديقاتك بعد عودتها من أجازة قصيرة على الشاطئ. قالت إنها كانت من قبل تجرى إلى البحر وحدها وتسبح لكنها الآن أصبحت تحتاج لأحد يكون معها. قالت صديقتك: « إننا نكبر ونريد من يكون بجانبنا ». لم تقصد صديقتك هذه أن تؤلمك، كانت فقط تريد أن تفرغ مشاعرها ووجدتك المقربة لها فقالتها لك..

سيدتي.. لا تجلسي مثل بطلات الميلودراما الرديئة وتندبين حظك، وأنه مكتوب عليك العذاب في حياتك، وإنك لم تستطعي الاحتفاظ برجل تحبينه. ومن الصعب أن تجدى رجلاً يحبك ويقتنع بك وأنت في عمرك الأربعيني. نعم الأرض اهتزت من تحتك فتحركي وانقذى نفسك وإذا وقعت في هوة غير محددة..

سيدتي.. مهما فعلت امرأة لرجل وهو ليس مقتنعاً بها لن يهتم بما تفعله من أجله. لن يهتم بنبضات قلبها. هذا درس قاس تعلمته.

تألمى ياسيدتى. تألمى لتخرجى الألم من نفسك وجسدك. لابد أن تتخلصى من هذا الآلم. ولا تقاوميه. دعى ذكرياتك تنساب من داخلك. تسحقك. تذكرى الألم لتتخلصى منه وليس لتعيشى فيه!

سيدتى.. أنظرى خلفك بغضب لكن انظرى أمامك بأمل.. عقاقير العالم ومستحضرات التجميل لن تجلب الحيوية لجسدك ولن تذهب إرهاق وجهك بدون شعور داخلى. بدون أمل.

جمعية المطلقات

قالت الطبيبة النفسية :« اليوم سنحتفل بالسيدة (س) لأنها ستتزوج».

تعالت تهانينا ونحن ننظر إلى المطلقة التى ستتزوج للمرة الثانية بإعجاب، وأعربت مطلقة عما دار فى نفوسنا وقالت :« زواج زميلتنا يحرك فينا الأمل وإن الدنيا مازالت بخير» شعرنا ببهجة لهذا الخبر وقدمت لنا الطبيبة الحلوى والشاى. زغردت واحدة وقالت :« عقبالنا جميعا». قالت مطلقة :« إنها خطوة جريئة، الدخول فى مغامرة زواج مرة أخرى». فقالت لها الطبيبة إن الزواج ليس مغامرة وإن كان للمرة الثانية».

وقالت :« من تجربتى الشخصية وملاحظاتى أأكد لكم إن الزواج الثانى أكثر توافقا». قالت مطلقة :« ربما بالنسبة للمرأة تكون أكثر تحملا للمشاكل لأنها لا تريد أن تكون مطلقة لمرة الثانية». قالت الطبيبة : مشاكلكن الشخصية لابد تجدن لها حلا قبل الإقبال على الزواج الثانى، لأن هذه المشاكل ربما تقود المطلقة إلى زوج ثان يكون ظاهريا مختلفاً تماما عن زوجها الأول لكن أخلاقه أو طباعه مشابهة للأول فتجد أنها تكرر مشاكلها فى الزواج الأول لذلك قلت لكن فى

لقاء سابق أن تواجهن أنفسكن وتختبرن كل شئ قاد إلى الطلاق حتى لا تقع المطلقة فى زيجة ثانية مشابهة للأولى». سألت مطلقة لماذا نطلب تجربة زواج ثانية بعد فشل الأولى؟ قالت الطبيبة: «طلب الزواج الثانى هو طلب للنجاح بعد الفشل. والزواج هو الوضع الطبيعى للنساء والرجال فى المجتمع ومجتمعنا هو مجتمع الثنائيات الزوجية، إنه لا يستوعب الشخص المنفرد خصوصا المرأة. والآن الحياة الاجتماعية أصبحت مهمة للأفراد، وهى حياة يقوم بها الزوجان معا لا يستطيع الفرد تحملها وحده خصوصا المرأة. كما تحدثنا من قبل كثيرا فالمرأة تتأثر أكثر بالطلاق من الناحية النفسية وتفضل أن تدخل تجربة زواج ثانية لتكون زوجة فى المجتمع على أن تبقى مطلقة».

قلت: «اعتقد يادكتورة إن حاجة المطلقة لتبادل الحب والصحبة بدفعانها لطلب الزواج مرة ثانية وليس لمجرد أن تكون زوجة»: قالت الطبيبة: «هذه حقيقة إننا نحتاج إلى تبادل الحب ونحتاج أيضا إلى الحياة الاجتماعية». قالت المطلقة التى ستتزوج: «أخاف الفشل بسبب عدم الثقة التى جنيتها من زواجى الأول». قالت الطبيبة: «توقع الفشل ليس أساسا جيدا لبناء علاقة جديدة وهذا أكثر شئ يفسد الثقة إذا وضعت الثقة فى شريك حياتك سيبادلك هذا الشعور، فالثقة شعور يشعر به الآخر وهى تتكون مع الوقت بأن

تشاركى أفكارك ومشاعرك بالتدريج مع رفيق حياتك. الحب والجنس أشياء متغيرة أما الثقة فهى ثابتة. إذا حصلت عليها فأنت تحصلين على كل شئ. عزيزتى لا تظنى إن فشل زواجك الأول سلب الثقة فى الرجل. سبب الفشل هو الاختيار الخطأ أو التصرفات الخاطئة».

قالت مطلقة لم تستطع أن تخفى غيرتها من التى ستتزوج: «إحمدى ربنا إن هناك رجلاً يريد أن يتزوجك ولديك طفل. هل سيأخذه أبوه؟!» وقبل أن تجيبها سألتها مطلقة أخرى إذا كان الزوج الثانى مطلقا.؟».

قالت: «الولد سيبقى معى فهو فى السادسة ووالده سيتزوج أيضاً وفضل إن يتركه معى أما الزوج الثانى فهو مطلق وله ابنه تعيش مع مطلقته التى تزوجت أيضاً». قالت المطلقة التى أفصحت عن غيرتها: «الدنيا محلولة أمامك لا توجد مشاكل وبعد ذلك تتحدثين عن عدم الثقة؟!». ضحكنا. وقالت المطلقة التى ستتزوج: إن الرجل يبدى حبا وإهتماماً بطفلها لكنها لا تدرى ماذا ستكون معاملته له بعد الزواج؟. فقالت لها المطلقة التى شعرت بالغيرة منها إنها تبحث عن المشاكل وتضيع فرصة عظيمة لها بالفرح.

قالت الطبيبة: «مشكلة الزواج الثانى فى أبناء الزيجة الأولى للرجل أو المرأة أو للاثنين معا. ففى الزواج الثانى الأطفال يوجدون قبل أن يبدأ التآلف بين الزوجين. فالزوجان لا يجدان وقتا كافيا لعمل

علاقة مريحة بينهما قبل وجود الأطفال. ومن ناحية أخرى. زوج الأم. أو زوجة الأب. أى منهما يريد أن يفرض النظام والطاعة على ابن ليس ابنه. ربما الأم أو الأب لا يعجبه تصرف الاخر حيال ابنه. وربما الطفل لا يقبل توجيهات من أب أو أم غير والديه الحقيقيين. أيضا توجد المشاكل المالية. الأب الجديد لابد أن ينفق على ابن زوجته وربما هذا يجعله متذمراً. وإن كان فى حالة السيدة(س) لن توجد المشكلة المادية لأنها تعمل واعتقد إنها ستتحمل العبء الأكبر فى مصاريف ابنها. أما إذا انجبت من الزوج الثانى..»

قاطعتها المطلقة التى ستتزوج وقالت انها اتفقت مع زوجها الثانى ألا ينجبا. قالت لها الطبيبة ألا يتعجلا فى قرارهما. وقالت المطلقة التى ستتزوج إنها ستفتقدنا. فصرخنا فى وجهها إننا لا نريد أن نراها هنا مرة أخرى.. وضحكنا.

مع صديقة

قالت صديقتي المطلقة :« أريد أن أتزوج رجلاً ثرياً ، يعطيني النقود بدون أن يسألني لماذا . وتكون مناقشاتنا عند الشراء . أى شئ أحسن لنختاره وليس أى شئ أرخص . أريد أن أشعر ببذخ » ، ضحكت . . كنا فى محل مجوهرات وشاهدنا سيدتين وجهيهما رائقان ناعمان وملابسهما غالية . تتحليان بمجوهرات كثيرة وتشتريان غيرها . أخرجتا من حقيبتيهما مجموعات من رزم الأوراق المالية لتدفعاها للصائغ ، استفزتني إحداهما بنظرتها لنا . استفزني أكثر وجهها الرائق الذى ليس فيه أثار لقلق أو دموع نامت ليلتها نوما هادئا مستكيناً فى فراش وثير . فى بيت فاخر تمتلكه مثل الجوهرات التى ترتديها وتشترى غيرها . مثل رزم النقود التى تخرجها من حقيبتها . جاءت نظرتى على وجهى فى مرآة فى ركن من المحل تضايقت من وجهى المجهد . جلست بعيداً إلى أن تنتهى صديقتى من استلام الخاتم الذى تغيرت فصوصه وتدفع للصائغ عشرين جنيهاً !! .عندما خرجنا من المحل قالت صديقتى أمنيتها قلت لها :« أمنيتك هذه كان لابد أن تقوليها منذ عشرين عاماً قالت :« ضيعنا أنفسنا بثقل عقولنا وليس جيوبنا . لم ننظر إلى الاثرياء التافهين من الرجال وبحثنا عن

المناضلين والمثقفين الفقراء الذين يتساوون مع عقولنا. كم كنا مغفلات. ولم تنبه واحدة فينا الأخرى على تغفيلها. أنت وأنا ومعظم صديقاتنا المقربات».

قلت: «كان ذلك الوقت يتمشى مع أفكارنا. كنا في أول شبابنا في عهد الثراء الفكرى. لم نكن في عهد الثراء المادى. وضعنا كما ضاعت مبادؤنا. بأى شئ نتمسك الآن؟!».

قالت صديقتى: «لم يكن أهلونا ينظرون إلى المادة ولم يكونوا أثرياء بالمعنى المفهوم للثراء الآن. ولم يجبرونا على الزواج من أثرياء. تركوا لنا الخيار» الآن الفتاة لا تتزوج ببلاش كما فعلت فتيات جيلنا، حتى عندما تحب فهى تشترط الشبكة الألماظ والمهر الغالى والفرح الكبير. كان تفكيرنا أن مثل هذه الأشياء تفاهات وأننا بثمنها نشترى أشياء نافعة لبيوتنا وعقولنا« كم كنا مغفلات».

قلت: «هل تريدين الأن ونحن في هذا العمر الأربعينى ووراءنا كل هذه السنوات من التعب والخديعة والإجهاد النفسى الذى انعكس على وجوهنا. هل تريدينا الآن أنت وأنا نتزوج من رجال أثرياء؟ وهل نجد الرجال حتى نشترط أن يكونوا أثرياء؟!».

قالت صديقتى: «لا أحبك وأنت في هذه الحالة من الاكتئاب واليأس».

قلت :« لابد أن نتحمل بعضنا كما نتحمل سخافة ظروفنا الحالية كما نتحمل ليالينا الوحيدة وأحلامنا مثل الكوابيس التى نحلم فيها بمضاجعة الرجال المجهولين ونقوم من نومنا مذعورات برعشة النشوة الكاذبة » .

قالت :« عزيزتى لابد أن نتخذ قراراً حازما . ألا نتحدث بعد ذلك عن جيلنا التعس وما لاقاه من معاناة فى كل شئ . ألا نتحدث بعد ذلك عن أحلامنا المشوهة وآمالنا المبتورة » .

قلت :« آه ياصديقتى . كنا ننتقد مسرح العبث ونقول الحياة لها أهداف وآمال . ولم ندر أننا بعد سنوات سنعيش حياتنا فى هذا العبث حقيقة .. وليس من تأليف كاتب عبثى » .

قالت :« لابد أن نتفاءل . تفاءلى . ولنلتقى المرة القادمة ونحن متفائلتان » .

كان هذا الحديث أثناء قيادتى لسيارتى إلى أن وصلنا إلى بيت صديقتى . ودعتها وقدت السيارة وأنا أفكر فى التفاؤل والتشاؤم كأنهما قانون حياتنا المنظم . لحظات من هذا ولحظات من ذاك . حروب . تغيرات سياسية . تغيرات إجتماعية . هكذا عاش جيلنا التعس كما قالت عنه صديقتى . لحظات التفاؤل تضئ مثل ضوء الفلاش وتختفى . ونقول ما سيجئ سيكون أحسن . ولحظات من التشاؤم مثل سواد الليل الطويل . آه من جيلنا التعس . بعضنا اتجه إلى

التصوف والزهد فى كل شئ وبعضنا اتجه إلى خيانة مبادئه وتهتك فى كل شئ..

فى بحر هائج ولد جيلنا على هذه القطعة من الأرض. نركب موجات التفاؤل والتشاؤم. تقذفنا الموجات إلى قاع البحر العميق الهائج ثم تلقينا على شواطئ مجهولة مهجورة نائية. نستوحش المكان ونخاف الوحدة فنعود لنركب موجات البحر الهائج علها ترحمنا. تهدهدنا. تلقينا على شاطئ آمن. معلوم وغير مهجور. لنجد فيه صحبة لحياتنا. لنرتاح بعد طول تعب. لتطمئن نفوسنا بعد طول عناء نركب موجات البحر الهائج بالأمل. باليأس. بأمل أن تقذفنا على شاطئ أمان. وبيأس أن تقذفنا على أى مكان.

وجدت نفسى أقود سيارتى إلى بيت الطبيبة النفسية. شعرت أننى فى حاجة أن أجلس معها. وجدتها فى حديقة الفيللا. لمحتنى وجاءت مسرعة إلى. قالت بشئ من الدهشة: « أمانى.. ماذا حدث؟!»..

قلت: « هل يمكن أن أجلس معك.. أقصد.. هل لديك بعض الوقت؟!» قالت مرحبة: «تفضلى»..

مع الطبيبة النفسية

قالت الطبيبة النفسية :« أماني . أريد أن أسمع منك الحديث الذى رفضت أن تقوليه أمام بقية المطلقات . أريد أن أسمع منك قصة طلاقك » .ابتسمت للطبيبة التى استقبلتنى بدون موعد ولم تتذمر . قلت« لا أستطيع أن أقول أنها قصة . لتكن مأساة يونانية قديمة . أو رومانية . أو مأساة حديثة جداً حيث نقول فى النهاية إنها مسألة مضحكة . لقد تأثرت بما قاله أحد ملوك بريطانيا قديما . عندما قال مملكتى بحصان . وكان فى حرب وفقد حصانه . وهكذا قلت يوما مملكتى بصحبة .

تزوجت بعد معرفة قليلة وحب كثير . ومن أول يوم لزواجى شعرت بوحدة . فقد كان شهر العسل رحلة عمل له . كان يتركنى ويخرج لعمله وعندما يعود لا يتحدث معى حديث الصحبة المتفاهمة . واستمرت الحياة هكذا . وبالرغم من إننى أعمل إلا أنى كنت أحتاج إلى صحبة من يعيش معى فى البيت . بإختصار شديد . الزوج المنشغل بأعماله ويهمل عواطفه وصحبته وحتى رغبته الجسدية . وهكذا قلت يوما مملكتى بصحبة . لكن فقدت مملكتى ولم أجد الصحبة » . .

ابتسمت الطبيبة وقالت :« تشبيه غريب واختصار ساخر لقصة طلاقك » . . قلت :« كان لابد من الاختيار . عظيم . . لكن كيف تختار الوهم ونترك الحقيقة؟ اعتقد يادكتورة لا يمكن لإنسان أن يفعل هذا إلا إذا كان يائسا تماما من الحقيقة التي يعيش فيها » .

سألتني الطبيبة :« هل أنت نادمة الآن على طلاقك » ؟ .

قلت :« حقيقة لا أدرى . اختلطت على الأمور . فأنا كما قلت من قبل أننى لم أشعر إننى مطلقة . ربما لأنى لم أشعر إننى متزوجة . لكننى شعرت بوضعى بعد أن رفض الرجل الذى احببته الزواج منى لأننى مطلقة . والآن أشعر بحزن وإننى طلقت حقيقة بعد أن تزوج هذا الرجل » . .

قالت الطبيبة :« لأن طلاقك الفعلى حدث لك بالتدريج . إنفصلت نفسيا . ثم انفصلت عنه جسديا ، وشعرت بعدها بالحرية وإنك يمكنك أن تبدئى حياتك من جديد . أما زواج الرجل الذى أحببته فقد كان مفاجأة لك . بل صدمة ، مثل صدمة الطلاق بلا مقدمات » .

قلت :« كان أملى كبيراً معه . كان الحلم الذى ظننت إنه تحقق أخيراً معه . أو كان بمثابة التعويض الذى يجده الناس فى حياتهم بعد عذابات طويلة . لكن الحقيقة كانت غير ذلك » .

قالت الطبيبة :« ربما التعويض سيأتى لك فيما بعد » .

قلت : «كنت مع صديقة مطلقة قبل أن أحضر إليك وقالت أمنية ضحكت منها إنها تريد أن تتزوج من رجل ثرى» .

قالت الطبيبة :« الأمان النفسى للإنسان أهم من الأمان المادى. بالأمان النفسى يستطيع أن يجد الإنسان أمانه المادى فهو لا يستطيع أن يكون سوياً من الناحية الفسيولوجية والنفسية والعملية والعاطفية بدون هذا الأمان النفسى. تفاءلى بأمل الحصول على أمانك الداخلى» .

قلت :« لقد حاولت من يومين أن أكون مرحة واتقبل حياتى الآن بدون شعور بالأسىء على ما فاتنى ومن فقدته. لكن يبدو أن الأسى فى داخلى تغلب على مشاعرى فمرضت» . .

قالت الطبيبة :« مادمت حاولت التفاؤل فاستمرى. إذا كنت مرضت يوما فستتغلبين فى الغد على أمراضك» . .قلت :« يادكتورة إننى دائما أحاول. لكن الحيرة التى اقع فيها الآن بين حياتى هذه وما أريده لحياتى تمرضتى» . . قالت الطبيبة :« أمانى. . أنت قوية نفسيا فلا تسمحى للإحباط أن يشدك إلى انخفاض معنوى» .

قلت : «الحقيقة :إننى لم أعد أحتمل الإحباط. وأصبح يقهرنى» .سألتنى الطبيبة : «وهل كنت تتحملينه من قبل؟» .

قلت : «نعم. كنت أتغلب عليه. ربما كنت استسلم له يوماً وأغلق على نفسى وأنام. ثم أقوم بعدها نشطة. أرتدى ملابس زاهية. اتجمل .استجلب المرح فيأتي إلي. أما الآن. أعتقد أن استسلامى للإحباط نوع من اليأس المميت»..

نظرت في ساعتى وقمت. قلت :« أطلت عليك يادكتورة وأشكرك إنك استقبلتينى في وقت ليس مخصصاً للمطلقات فهل تسمحى لى أن ..» قاطعتنى الطبيبة وهى تربت على ظهرى. قالت :« وهل تأخذ الصديقة من صديقتها ثمنا لوقت طيب تقضيه معها؟!»

قلت :«أشكرك إنك تعتبرينى صديقة».

الحفلة

حاولت أن أبدو مرحة وأعمل بنصيحة الطبيبة النفسية أتفاءل. لكنى لم أستطع. زملائى وزميلاتى فى العمل لاحظوا اكتئابى. ظنوا أنى مكتئبة لأنى أخترت الوحدة بإرادتى وهذه هى النتيجة! يعتقدون أننى أوقفت نبض قلبى عن الحب، ودفنت أحلامى عن استقرارى، وطحت بآملى فى الفضاء. لم يعرفوا خديعتى فيمن أحببت فى السنين الأخيرة.

قال لى بعضهم نصائح ضايقتنى.. قابلت صديقاً كبيرا فى الطريق هتف مسروراً باسمى عندما رآنى. ودعانى إلى فنجان قهوة بحساسيته الشديدة قال إنه يفهم حالتى التى أمر بها. لم استطع أن أخبره عن الصدمة الأخيرة. لقد قابلنى عندما اخترت طريقاً وكنت شجاعة بما فيه الكفاية لاختار وحدتى عن حياة مشتركة ليست مشتركة. وهاهو يقابلنى بعد هذه الصدمة التى احاول ألا اعتبرها صدمة. قلت له تبريراً عن سوء حالتى إننى قد أصبت بانفلونزا فى الشهر الماضى فأثرت على صحتى. شعرت أنه لا يصدقنى.

قلت له ضاحكة بصيغة الجمع . إن الرجال يتهربون منى. فقال إن هذا أفضل لى حتى التفت لنفسى ولعملى ولمستقبلى الذى اخترته.

قلت له في محاولة تصديق لنفسي : إن هذا ما يدور في رأسي . كان حديثه حنونا فاهماً واسترحت من مقابلتي له .

ربما سيمضي بعض الوقت إلى أن أفوق من صدمتي الأخيرة وأغلق على بابي ولا أتعـرف على أى رجل حـتى لا أقع فى نفس الخطأ واستكين للصحبة لمجرد أن يكون لى صحبة . استكين بالخوف من الغد وتعمينى هذه الإستكانة عن حقيقة الصحبة . الذى يضايقنى الآن ما وصلت إليه من تشويه لأفكارى فلا أستطيع أن أرتبها لأعمل . الإستكانة لابد أن تكون لأفكار عملى فهو الشئ الذى أستطيع المحافظة عليه . . أسوأ شئ يصب الفرد حكاية الإشفاق على النفس . وأن ينظر إلى حظه كأنه عدو له يخرجه من مصيبة ليوقعه فى أخرى . ويعتقد الإنسان إنه لا يستطيع أن يحقق أحلامه لأن هناك من يقف دائما فى طريقه . يجد أشياء معطلةومحبطة فيضعها على حظه . أسوأ شئ أن يقع الإنسان فى هذا المأزق مع حظه . ويصبح هو أيضا عدوا لحظه .

طلبتنى إحدى صديقاتى وسألتنى أن أذهب معها وزوجها إلى حفلة فى النادى الرياضى الذى تشترك فيه ، هذا النادى الذى يشترك فيه أيضا الرجل الذى خدعنى وتركنى . وترددت قليلاً ، وشجعتنى . قابلتهما ومجموعة أخرى من الذين أعرفهم وأعرفهن . قررت أن أكون مقبولة بين هذه الصحبة ، وكان مجهوداً شاقاً لأكون مرحة .

كانت الحفلة عبارة عن مسرحية يقوم بها الهواة من فصل واحد . ثم استراحة وبعدها فيلم سينمائى .

فى الاستراحة قمت مع صديقتى لنسير فى حديقة النادى . ضبطت عينئ وهما يبحثان عنه بين الجالسين فى الحديقة ضبطت قلبى وهو يخفق عندما خيل إلى إننى وجدته .

وبالرغم من حرارة الجو شعرت بالبرودة تسرى فى اطرافى وتضايقت من نفسى لأنى مازلت أفكر فيه . ربما لاحظت صديقتى نظراتى الباحثة فقالت : « لم نعد نراه فى النادى . يبدو أن زوجته استحوذت على كل وقته » لم أتصنع الغباء وأسالها عمن تتحدث وقلت ساهمة : « لابد إنه سعيد بالزواج على عكس ما تصورنا إنه بشخصيته لن يتحمل » .

قالت صديقتى : « سمعنا همسات عن هذا الزواج وسأحكى لك كل شئ عندما أعرف » .

كان الفيلم رومانسيا أثار دموعى ، ابتلعتها حتى لا أفضح نفسى ، وبعد الفيلم كانت المجموعة ترغب فى المزيد من السهر . شعرت أننى وحيدة تماما وسطهم ، ولم أعد استطيع افتعال شعور فوق طاقة احتمالى . اعتذرت لهم ، شكرتهم وألقيت تحية على الجميع .

وأنا فى طريقى إلى باب الخروج من النادى شاهدت رجلا وامرأة يسيران فى مرح ، ذراعاهما متشابكتان . الحياة تحتاج أن يسير فيها

اثنان معاً. سخيفة الحياة بلا صحبة. أن يسير الفرد يهز ذراعيه فى الهواء كما أسير أنا. ألا يمسك بذراع آخر بجانبه. صورة من التوافق أمامى أبطأت من خطواتى خلفهما. الاثنان يجملان الحياة لبعضهما. أين هو الذى يمسك ذراعى ويجمل الحياة لى. وأجمل الحياة له؟!.

هل فى العمر الأربعينى يصح أن أحلم أحلام فتاة العشرين؟! بالحب والصحبة والبيت الأمن؟ أم هذه الأحلام ليست مقتصرة على عمر محدد؟!

آه يا أحلامى ماذا تخبئين لى؟!

مونولوج

سيدتى . . فرحت فرحة مبهمة، وقلت فى نفسك إن الليل يأتى بعده نهار والأيام تحمل إليك مفاجآت طيبة . لكنك سيدتى لم تلتفتى إلى أى طريق تقودك إليه وحدتك . وتركت مشاعرك تتدفق نحو هذا الرجل الذى ظهر لك . حقيقة الرجل معجب بك من زمن، منذ قابلته من عدة سنوات وأجريت معه محاورة ثقافية فى برنامجك الإذاعى وكنت وقتها فى أول شهور زواجك لا تلتفتين لنظرات إعجاب الرجال ولا تستمعين إلى كلمات إطرائهم . . حقيقة سيدتى فالرجل من القليلين الذين يستمعون إلى صوتك عبر الأثير ويهتم بما تقولين إعجاباً بشخصك أولاً . وكان من سنوات يحدثك فى اليوم التالى لإذاعة برنامجك ليعبر عن إعجابه ويناقشك .

وكنت تسعدين بالمكالمة بل كنت تنتظرينها . لا تنكرى . ربما نسيته سيدتى وسط مشاكلك الخاصة، لكنك تساءلت يوما أين إختفى هذا الرجل؟ وعرفت أنه سافر للعمل فى جامعة خليجية أستاذاً فى مادته . ومن وقت لآخر كنت تقرئين له مقالات ثقافية فى مجلة تصدر فى البلد الخليجى الذى يعمل به . وفى بعض الصحف

العربية التي تجدينها على مكتب زميلك المهتم بالشئون العربية فتستعيرينها منه لتقرئى ماذا كتب. وأحيانا تتساءلين لماذا اختفى؟

فهل لم يعد يأت لزيارة بلده؟ وإذا كان يأتي في الإجازات فلماذا لم يعد يتصل بك؟

كنت تتساءلين عنه عندما تبحثين عن معجبيك القدامى في ساعات وحدتك.. وها هو جاء أخيراً.. سعى إليك وبفرحة مبهمة قابلته. دعاك إلى الحب وجاءتك الدعوة سيدتى في ليلة حالكة بظلام الوحدة و آلام الجرح الذى لم يلتئم. وكانت دعوته رقيقة مهذبة محبة. قال انه يحمل أثقالافوق كتفيه. وقلت إنك تحملين أيضاً اثقالاً. لكن أثقالك يمكن التخلص منها بحاضرٍ جميل وأمل في مستقبل. أما اثقاله فمن الصعب أن يتخلص منها. وضح لك الرجل بصراحة أنه تزوج في سن العشرين، أجبره والده على الزواج وصحبة زوجته معه إلى الخارج ليكمل دراسته العليا حتى لا يلتفت إلى الخواجات. ونفذ قرار والده وتزوج من اختارها له منذ ثلاثين عاما. انجب ولدا وبنتين. تزوجت واحدة منهما. واعجب بك ياسيدتى وأصبح إعجابه حباً، من محادثاتكما التليفونية في مناقشة المسائل الثقافية لكنه لم يستطع أن يدعوك للحب وقتها لارتباطك. ثم بانشغاله هو بتأمين حياته مستقبله من الناحية الثقافية والمادية.

وقد وجد الشجاعة أخيراً عندما علم إنك مطلقة ليدعوك إلى الحب. لكنك سيدتي أردت الدعوة كاملة. بالأمل في مستقبل، بصحبة دائمة. بمشاركة. تعبت من العلاقة اليائسة والأمل الكاذب. تعبت من الوقوف وحيدة في مهب رياح الأيام وتغير الزمن. وبصراحته المهذبة أخبرك أنه لا يستطيع أن يترك زوجته وأسرته ليعيش معك في حياة زوجية واضحة. لا يستطيع أن يترك ابنه وابنته اللذان مازالا يعتمدان عليه ويقدرانه. لا يستطيع أن يطلق زوجته فهي ليست مثل حصان البلدية الذى يستغلونه طوال حياته في الاعمال المجهدة ثم يلقونه بعد أن يكبر أو يمرض. وبسبب مركزه العلمي والأدبي والاجتماعي وشهرته التي نالها في السنين الماضية لا يستطيع أن يعلن صراحة عن حبه لك. لايريد أن يؤذي مشاعر أسرته ويظهر معك في المجتمعات، ولأنه أصبح مشهوراً فربما يلتقط مصور صحفي صورته معك وينشرها في أخبار المجتمع في مجلة قد تصل يد زوجته، أو يشاهد كما أحد الأقارب. لكل هذه الأسباب سيدتي عرض عليك الرجل هذه الصيغة من العلاقة الشرعية في الحب وهي الزواج العرفي حتى يكون الحب كاملاً بينكما وحتى يرتاح ضميره، ويحقق رغبتك الواضحة إنك لن تكوني عشيقته. !

سيدتى.. نصحتك صديقاتك ألا تخافين المغامرة، فالرجل نبيل ويحبك والمغامرة تخرجك من رتابة حياتك ووحدتك. وكل ممن سألتيه عن الرجل مدح فى أخلاقه ولاحظت هذا من تصرفه..

سيدتى.. نادراً ما تتحقق أحلامنا كما نريدها تماماً. حلمت برجل يحبك ويريديك ويخرجك من الشعور الردئ الذى انتابك فى السنين الأخيرة إنك غير مرغوبة. وهاهو الرجل جاء لك. لكن الحلم لم يكتمل بالصورة التى أردتيها. قاومت خفقات قلبك وإعجابك بالرجل. وسألت صديقتك المقربة وزوجها أن يساعداك فى هذه المشكلة الجديدة. وقرر الزوجان دعوتكما معا. وقبل ذهابك إلى الدعوة قررت قبول عرضه .

سيدتى.. كنت ترفضين الرجال المطلقين والأرامل الذين تقدموا لك من خلال صديقاتك وأقاربك. ترفضين رجلا خلفه خيال امرأة أو شبح امرأة. وهأنت تقبلين رجلا بجانبه امرأة حقيقية بشحمها ولحمها، ليست خيالاً ولا شبحاً.

الزواج العرفى

ذهبت مبكرة قبل الموعد إلى بيت صديقتى وأخبرتها وزوجها عن قرارى بقبول الزواج العرفى من الرجل الذى يحبنى ويريدنى، فهو على الأقل لم يخدعنى بوعود كاذبة. وأنا أيضا معجبة به من زمن واحبه الآن. قال زوج صديقتى :« لننتظر إلى أن يحضر الرجل، ربما طلب هذا الزواج فى لحظة عاطفية ووقت الجد يهرب» فى الموعد تماماً حضر، فزال قلقى وابتسمت لزوج صديقتى.. بعد أن قدمت صديقتى الشاى والحلوى سألنى الرجل هل فكرت فى طلبه؟. قلت له إننى موافقة. إبتسمت كل ملامح وجهه وقال إنه لا يعرف كيف يعبر عن سعادته. قال له زوج صديقتى إنه يعتبر نفسه زوج شقيقتى لذلك فليسمح له بالتدخل فى بعض التفاصيل. ورحب الرجل. سأله زوج صديقتى كيف سنعيش معا وأين؟!.

قال إنه فى الوقت الحالى سيؤجر شقة مفروشة نعيش فيها إلى أن يأتى موعد سفره إلى البلد الذى يعمل به وإلى أسرته هناك. إذا أعجبتنى الشقة فيستمر فى تأجيرها على أن أتركها فى غيابه وأذهب إلى بيت والدى. فهو لا يريدنى أن أكون وحيدة فى شقة مفروشة.. قال زوج صديقتى إن الشقق المفروشة لا يؤجرونها لمصريين حتى إن

كانوا يعملون بالخارج. قال الرجل إن له صديقاً مقربا لديه شقة يؤجرها مفروشة فى موقع ممتاز على شاطئ النيل فى الجيزة. ولن يبخل عليه فى تأجيرها له وهو لن يخدعه ويستولى عليها. وعلى أيه حال فهذا حل مؤقت..

قال زوج صديقتي:« الأفضل أن تشترى شقة باسم أمانى وتؤثثها لها حتى تشعر باطمئنان فى هذا الزواج وأن ترسل لها مبلغا من المال كل شهر، لنعقد الزواج عند محام حتى نضمن لها حقوقها الشرعية صدمت بكلام زوج صديقتى وخجلت خصوصا عندما صمت الرجل لابد إنه شعر أننى طامعة فى ثرائه الذى يعيش فيه الآن وأننى موافقة على هذا الكلام فقلت مدافعة عن نفسى إننى لا أريد شقة باسمى ولا إعانة شهرية.

وقال الرجل:« إننى لا أبخل على أمانى بأى شئ فهى تستحق أكثر مما أعرضه، لكنى شرحت لها ظروفى الاجتماعية وهى قد وافقت على سرية الزواج، وإذا عقدنا القران عند محام فهذا ينفى السرية والأفضل إذن نعقده عند مأذون وهذا لاأستطيعه. لا أريد أن أصدم أسرتى.. و.. زوجتى ».

قال زوج صديقتى:« علمنا أن أسرة زوجتك ساعدتك ماديا فى أولى سنى زواجك».

قال الرجل« لقد عوضت زوجتى كل ما أنفقته فى السنوات الأولى واشتريت بيتا لها وللبنتين والولد وليس معنى هذا أن أقول لها إننى دفعت الدين الذى كبلنى سنين ومع السلامة الآن، فهى شاركتنى حياتى وأخذت على عاتقها مسئولية البيت وتربية الأبناء ولم تجعلنى أحمل أى هموم كبيرة أو صغيرة ولذلك تفرغت تماما لعملى وقراءاتى وتحقيق أملى فى الكتابة. إننى أقدر الدور الذى قامت به زوجتى ولا أنكر أننى أحبها لكن ليس كما أحب أمانى، إننى لأول مرة فى حياتى أشعر بهذه العاطفة للحب بين الرجل والمرأة.. أنتم تفهمون كلامى.. أليس كذلك؟!»..

ويبدو أن ملامح وجوهنا كانت تظهر الدهشة أو الغباء وعدم الفهم حتى يسألنا هذا السؤال بعد حديثه الطويل عن زوجته.. صمتنا لحظة. ثم قال زوج صديقتى« لنفرض أن أمانى أرادت أن تنجب.. ماذا سيكون وضع الطفل؟!». قال الرجل:« فى هذه الحالة سيختلف الوضع تماماً».. لم أستطيع منع ابتسامتى الساخرة. رجل فى العمر الخمسينى وامرأة فى العمر الاربعنى يريدان الإنجاب؟!.. قلت معبرة عن أفكارى :« إننا لن ننجب».

قال زوج صديقتى:« ليكن الزواج بدون محام وبدون شقة خاصة وبدون إنجاب. ولكن لابد من إعلان هذا الزواج على المحيطين بكما

وعلى كل من يدخل الشقة التى ستعيشان فيها وعلى الجيران. لابد من الإعلان حتى يكون الزواج العرفى سليما شرعياً».

ابتسم الرجل وقال لزوج صديقتى: «ليكن كل شئ كما تريدون.. من الشاهد الثانى لنكتب ورق الزواج» قلت: «أبى».. نظروا إلى بدهشة كانت واضحة أكثر على وجه الرجل الذى يحبنى. فقلت بهدوء موجهة الكلام له: «هل تريدنى أن أتزوج بدون علم والدى»؟..لم يستطع أن يقول شيئا واتفقنا على أن يحضروا جميعا فى اليوم التالى إلى بيت أبى.

وقلت فى نفسى إذا لم يحضر لن أغضب ولن أحزن فهذه المرة الرجل هو الذى يحبنى أكثر، لأول مرة فى حياتى كفة ميزانى فى ميزان الحب هى التى ترتفع.. وكانت مهمة شاقة نفسيا فى إعلانى للخبر على والدى بكت أمى. أما أبى فقد وافق لأدخل التجربة ولأقرر أنا الاستمرار أو التوقف وكنت فرحة فرحة مبهمة لهذه المغامرة التى سأخوضها..

أحبك .. وأتركك

غريبة أن يختزن إنسان لآخر عواطف نبيلة وحباً عميقاً لا يفصح عنه. وغريب أن يختزن هذا الآخر بعض المشاعر العميقة ولا يعيها. وتمر سنوات طويلة، ويجد كل منهما نفسه أمام الآخر فى ظروف تسمح بهذا الاعتراف وهذا الوعى، فيكاشفان بعضهما بتلك العواطف القديمة. ويجلس كل منهما أمام الآخر أو فى حضن الآخر يتحدثان عن هذا الحب. أو يجد كل منهما إنه قضى سنين طويلة فى زيف الحياة فيشتاقان إلى لحظة صدق.. هذه اللحظات الصادقة أصبحت نادرة فى الحياة. جميل أن يجد الإنسان نفسه متعايشاً مع لحظة صدق لتنطبق السماء على الأرض، ليحدث الطوفان ليحدث أى شىء، المهم التواجد فى مثل هذه اللحظات النادرة. قال: «لابد إننى أحلم. أنت معى. زوجتى. حبيبتى هل تدرين ياأمانى أنت مثل الماء المقطر. مشكلتك مع البشر إنك وسطهم مثل الماء المقطر لذلك لا تستطيعن التعامل معهم لابد أن يفهم أحد هذا ليقدرك وأنا أفهم».

قال: «كل شىء فيك دقيق ورشيق. هل تدرين أن الأشياء الدقيقة التى يكتشفها الفرد بالتدريج وقعها أجمل وأعمق من هذه الأشياء الصارخة التى تصدم عينيه وتلفت نظره من أول وهلة، خذى مثلاً فى

الفن، المنمنمات أو هذا التصوير بالحفر أو الرسم الدقيق المنمنم لا يلفت النظر من أول وهلة لكن الإنسان يكتشف جماله بعد فترة، كلما نظر للصورة المرسومة أو التمثال المحفور كلما وجد فيه جمالاً، أنت ياأمانى من هذا النوع الذى يكتشفه الفرد بعد فترة. كلما تعمق فى النظر إليه وإلى أعماقه وجد جمالاً.. قلت: «أنا أحلم».. قال: «أنا الذى أحلم. لا أصدق إنك معى». الأمان لا يجده الإنسان بقوة نفسية تماماً. لكن يجده فى معان كبيرة وصغيرة، يجده مع آخر قريب إلى نفسه. يجده فى حضن المعانى والعواطف، غريبة عواطف الإنسان كأنى استشعر الحب لأول مرة.

قال: «أتمنى أن أكون رساماً عظيماً لأرسمك صورة عارية بالحجم الطبيعى، أحملها معى فى كل مكان أذهب إليه. أراها أول شىء فى الصباح، وآخر شىء قبل أن أنام، تؤنسنى فى ترحالى».

قلت: «وتفضحك الصورة مثلما حدث للفنان جوياً عندما رسم عشيقته الأميرة عارية بالحجم الطبيعى، وكانت الحرب عليه من البلاط الملكى عندما اكتشفوا الصورة».. قال: «تعجبنى ثقافتك المتنوعة».. قلت: «شاهدت فيلما قديماً عن حياة جوياً».. قال: «وأنا شاهدت فيلماً قديماً عنوانه. أحبك وأتركك».

فهمت ماذا يقصد وشعرت بغصة فى قلبى.. ربت على ظهرى وقال إن عليه أن يسافر فى الغد ليلحق بأسرته فى جزيرة قبرص ثم

يتركهم يسافرون إلى أسبانيا ويعود بعد أسبوع لينهى بعض مشاغله فى القاهرة ويلتقى بى.

سألته هل ستحضر أسرته إلى بلدنا؟ قال إنهم سيحضرون فى اجازة صيف العام القادم ووقتها التقى به فى أوروبا حتى لا يشك أحد فى تغيبه عن بيته القاهرى. سألنى أن أذهب معه لمشاهدة بيته ورفضت. سافر بعد أسبوعين من حياتنا معاً فى الشقة المفروشة. لا نخرج إلى مكان عام أو فى زيارة. ولا يأتى أحد لزيارتنا. يملأ الثلاجة بالأطعمة والفاكهة ويطلب الطعام الساخن بالتليفون من مطعم قريب. أنزل وحدى أسير لأحرك عضلاتى. وينزل وحده ليقضى مصالحه، وفى المساء نجلس فى الشرفة المحصنة بالجدران وقماش الشماسى المطلة على النيل.

لقد قررت أن أفصل نفسى تماماً عن الجانب الآخر من حياته، فلم أسأله متى أتصل بأسرته واتفق معهم على السفر، فمن حقهم أن يقضى معهم بعض اجازته.. عدت إلى عملى بعد هذه الاجازة ولم يلاحظ أحد ابتهاجى أو دبلة الزواج ذات الفصوص الماسية فبطبيعة هذا الزواج السرى لم أضع فى إصبعى دبلة الزواج التقليدية. واشترى لى هذه الدبلة الغالبة التى ظنت إحدى زميلاتى أنى اشتريتها فسألتنى لماذا لم أغير سيارتى القديمة؟!

زادت فترات مكوثي في بيت أبي وشعرت إنه حذر أمي من مناقشتي في حياتي بعد أن قالت لي أول يوم أعود إليهما بعد سفر حبيبي. زوجي إنها لأول مرة في حياتها تضطر للكذب عندما كان يسأل عني أحد فتقول إنني مسافرة. وعندما عاد بعد أسبوع كما وعدني دعته أمي لتناول طعام الغداء في بيتها واعتذر. وكان هذا الاعتذار آخر علاقة بينه وبين والدي، لم يمكث كثيراً، ثلاثة أيام ثم قال عبارته المأثورة. أحبك وأتركك. وابتعلني نوع جديد من الوحدة إنني أحبه. أحب أحاديثه وحنانه، لكن كيف أستمر في هذه الحياة الغريبة عن شخصيتي وطبائعي، وخرجت أبحث عن صديقاتي ومعارفي.

الطريق الخطأ

استقبلتنى الطبيبة النفسية بترحاب وسألتنى : هل كنت مسافرة فلم أحضر ثلاثة اجتماعات ، هززت رأسى : نعم كنت مسافرة ، كنا تسع مطلقات بعد زواج زميلتنا ، وجدتهن بعد غيابى خمسة ، سألت عن الغائبات ، قلن اثنتين تزوجا وواحدة مسافرة ، وقالت إحداهن إنها ظنت أننى تزوجت أيضاً ، ابتسمت لأخفى شعوراً يائساً اعترانى ، التفتت الطبيبة إلى مطلقة فى العمر الثلاثينى وسألتها أن تكمل حديثها عن تجربتها للخروج من العزلة ، فى نهاية حديثها الذى لم أتابعه قالت المطلقة إنها تعلمت الاعتماد على نفسها لكنها تخشى أن يهرب منها الرجال عندما يلاحظون أنها أصبحت قوية ، قالت الطبيبة ألا تخشى المرأة أن تظهر فى صورة المعتمدة على نفسها وإذا هرب منها رجل فهذا يعنى أنه لا يصلح لها .

«لتتعودى الاعتما على نفسك ، والرجل عليه أن يتعلم أنه ليس تهديداً لرجولته أو انتقاداً لها إذا قابل وأحب امرأة معتمدة على نفسها ، وكلما اعتقدت المرأة وتصرفت باعتمادها على نفسها كلما زاد فهم الرجل لها» . قالت مطلقة فى مثل عمرى الأربعينى : «من الطبيعى لشخص يشعر أنه مجروح ومحروم أن يبحث عن الخلاص

مع شريك جديد، لكن من الصعب العثور عليه، وإذا وجدته لابد أن أبذل عناية كبيرة لأستعيد الثقة فى نفسى وأشعر بالأمان معه».

قالت الطبيبة:

- «يوجد شعور داخلى فى المطلقة وهو مقاومة الجديد، وفى نفس الوقت تتمنى، فجزء منها يجعلها تشعر بالضجر أو الخوف من رجل جديد وجزء آخر يحن لشخص يجعلها تشعر بالحب والأمان والحل ببساطة ألا تتوقعى الكثير إذا ظهر لك رجل فى الأفق يطلب منك الزواج ولا تتوقعى الكثير عند التعارف بينكما. فالحياة بدون توقعات تعطى مفاجآت سارة وأيضا غير سارة».. قالت إحدى المطلقات «المفاجآت غير السارة أكثر يادكتورة». وقالت أخرى «أحياناً يكون الاعتماد على النفس بالنسبة للمطلقة خوف من أن تجرح، خوف على كرامتها».. قالت الطبيبة: «المهم أن تخرج من وحدتها ويأسها»..

كنت أستمع إلى الأحاديث ولا أشارك فيها، وسألت نفسى ما الذى جاء بى إلى اجتماع المطلقات الست متزوجة الآن؟! ابتسمت فى نفسى ساخرة. وهل إذا كنت أشعر بزواجى كنت أحضر؟! وهل كنت أخفيه عليهن. إننى مجبرة على إخفائه، ربما لاحظت الطبيبة صمتى وابتسامتى الساخرة السرية، وسألتنى أن أنتظر معها قليلاً بعد انتهاء الاجتماع بحجة أنها تريد أن تسألنى عن شىء فى الإذاعة،

وقالت لنا إنها ستسافر إلى الخارج لمدة شهر وترجو أن تجدنا متزوجات عند عودتها.

عندما جلست مع الطبيبة وحدنا قالت مبتسمة: «الحكمة تزيد الهموم فأى حكمة هذه التى تزيد همومك ياأمانى بعد اختفائك»؟

حكيت لها عن زواجى العرفى، والشعور النفسى الذى دفعنى إليه وابتهاجى فى الأيام الأولى. ثم عودتى إلى الوحدة والمشاعر المحبطة. وقلت: «جميل أن يجد الإنسان أنه محبوب، أنه مرغوب لكن عندما لا يكون هناك أمل فى هذه المحبة والرغبة يصبح الشعور بالجمال تعاسة. هل أضع محبته ورغبته فى وساماً على صدرى؟! حتى هذا الوسام لا استطيع أن أظهره للناس. أو أقول من هو صاحبه». قالت الطبيبة: «أعتقد أنك كنت تدركين هذه المشاكل النفسية وأنت مقبلة على هذا الزواج».

قلت: «اعتقدت أننى استطيع أن أفصل الحاضر عن المستقبل أفصل حياته الخاصة عن حياته معى، وأعيش لحظات سعيدة معه، كنت أحتاج لها. لكن مع ابتعاده بدأت الأمور تتضح لى. أنا أحبه لكنى أجد العمر يفلت من يدى ولن أجد الصحبة الواضحة المستقرة مع رجل أصنع معه بيتاً حقيقياً».. قالت الطبيبة: «فى مثل هذه الزيجات تطلب المرأة أماناً مادياً، تستفيد مادياً، لكنك ياأمانى تبحثين عن الأمان العاطفى والنفسى، وربما شوقك إلى هذا دفعك إلى

الطريق الخطأ. فليس الزواج العرفي هو الذي يعطيك هذا الأمان، وكما عرفتك فهذه الحياة لا تلائم طبيعتك وشخصيتك».. صمت قليلاً وسألتها ماذا أفعل؟ سألتني عن أوراق هذا الزواج العرفي. قلت لها عن طلب زوج صديقتي في كتابة الأوراق أمام محام وشهادته ورفض الرجل وإننا كتبنا الورقتين في بيت أبي وهما معي فنصحتني أن أمزقهما وأقطع صلتي تماماً بهذا الرجل وأخرج للحياة والمجتمع. وبالتأكيد سأقابل من يحبني في النور ويعلن عن صلته بي للعالم. وأكدت لي أنني لست من اللاتي يستفدن ماديا من مثل هذه الزيجة ولن أحتمل استمرارها. وأخيراً قالت:

- «ياأماني أنت لا تحبين هذا الرجل. أحببت حبه لك.. تنبهي لهذا قبل أن تضيعي مزيداً من عمرك في حياة محبطة».

أعيش الحب في الحرمان

هذه الغصة لم أشعر بها من زمن. لم تكن بهذه الحدة من قبل. أو ربما كانت هكذا ونسيت، أعرف أسباب هذه الآلام الجسدية من الآلام النفسية. كيف أزيل هذه الغصة. وهل ستلازمني دائماً؟ أشترى أشياء صغيرة تبهجني. أجلس مع زملائى وزميلاتى فى العمل. أنهمك فى مشاكلهم لأهرب من مشكلتى. وعندما يأتى الليل تتجسم وحدتى ويزداد عمق الغصة. جاءنى صوته ذات مساء قريب، من البلد البعيد الذى يعيش فيه. قال إنه افتقدنى ولم أفرح. سيبقى يفتقدنى وأعيش افتقده. أردت أن أبكى وهو يتحدث، بعد المكالمة زاد عمق الغصة، أقوم فى الصباح منهكة، أحلام الليل مفزعة أو مضحكة وأستقبل الصباح باكية، أى حياة هذه التى أعيشها فى الافتقاد؟ قابلت صديقاتى المقربات.

قالت واحدة: «حسبت أن هذه العلاقة ستداوى كبرياءك المجروحة وتفرحك». قلت: «الكبرياء المجروحة لا تلتئم فى جو مخنوق بالتستر والخوف والحرمان. الجرح لابد أن يتعرض للهواء حتى يلتئم، وجرحى يزداد عمقاً. إننى اختنق من النوافذ المغلقة، وهذا الزواج أو هذه العلاقة على قدر ما بهرتنى. آلمتنى. كأنها خربت شيئاً فى

داخلى». قالت صديقة ثانية: «انسى هذه العلاقة تماماً كأنها لم تكن».

قلت: «هذا ما أفكر فيه هذه الأيام، أنا لست فى حاجة إلى علاقة أخرى يائسة. لكنى أحبه، أو هكذا قدر لى أن أعيش الحب فى الحرمان». قالت صديقة: «إنه لا يستحق منك هذا القلق فهو بعيد يعيش حياته السوية الصحية مع أسرته وسط المجتمع وفي العمل. وأنت هنا وحدك تتألمين لوحدتك. وحتى إذا كان يعيش هنا فى بلدنا فلقاؤكما بدون أصدقاء. بدون ناس. بدون تغيير. إنك تشعرين بالآخر أكثر وهو وسط الناس. وهو أيضاً يراك فى صورة مختلفة وسط الناس».. قالت صديقة: «أخطأت ياأمانى بدخولك هذه العلاقة فأصلحى من خطئك».. قلت: «سمعت من بعضكن نصيحة من قبل إنه رجل نبيل وألا أخاف المغامرة».. قالت صديقة: «نعم قلنا النصيحة لأنه فعلاً رجل نبيل ويحبك لكنك لم تتحملين مثل هذه المغامرة وعلى أى حال كان قرارك هو المهم».. قلت: «لم أعد أعرف ما هو القرار الصحيح وما هو القرار الخطأ. تميعت كل الألوان لم يعد الأخضر أخضر. ولا الأحمر أحمر. وحتى الأبيض والأسود بهتت ألوانهما».. قالت صديقتى التى شهد زوجها على ورقة زواجى: «إيه ياأمانى سنعود للتشاؤم. أخرجى من هذه العلاقة الآن قبل أن تتدهور حالتك النفسية. مزقى الأوراق التى معك وأخبريه بقرارك هذا فى التليفون»..

قالت صديقة: «إننا لا نستطيع أن نتجاهل المجتمع الذى نعيش فيه. إذا تجاهلناه نعيش فى عزلة. هو رجل فى مجتمع شرقى لا أحد يلومه على علاقاته، أما أنت. المرأة الحساسة مثل هذه العلاقة تؤلمك».

عندما عدت إلى منزلى قالت لى أمى إن رجلاً سأل عنى وترك رقم تليفونه لأحدثه للضرورة. أخذت الة التليفون إلى حجرتى لأحدث الرجل صاحب الشقة المفروشة، سألنى إذا كنا فى حاجة إلى الشقة هذا الشهر لأنه يريد أن يؤجرها لأجنبى يعرفه من زمن. لا أدرى لماذا صعدت الدماء إلى رأسى بشعور من الغضب والخجل والمهانة. تمالكت نفسى وقلت له أن يؤجر شقته كما يريد فلست فى حاجة لها. سألنى الرجل هل غضبت وإنه لا يحب أن يغضب صديق عمره قلت له إننى لم أغضب وطلبت منه ألا يحدثنى بعد ذلك... نعم لا أستطيع الاستمرار فى هذا الزواج السرى تخيلت إننى سأخرج من وحدتى بحبه. لابد أن أنهى هذه العلاقة فى أولها قبل أن أستسلم لمرور الأيام واستمرار هذا الوضع الذى لن يتغير...

قالت لى أمى إنها وأبى سيذهبان عند الجيران أصدقائهما. وجلست أمام التليفزيون لأشاهد أى شىء أشغل به أفكارى بعيداً عن ضجة الأحاديث التى صدعت رأسى. مع صديقاتى، ومع نفسى، وكان فيلماً قديماً، ربما صورة الرجل الذى أحببته وخدعنى امتزجت بصورة الممثل الذى أشاهده فى هذه القصة القديمة، كان الفن فناً

حقيقياً، والحب حباً حقيقياً، كانت هذه الأشياء ذات قيمة فى الحياة. جاءت الدموع إلى عينى ولم تصمت. لماذا أتذكره الآن؟ أين هو. وما هى أخباره مع الزواج؟! وأعود لأتابع أحداث الفيلم.. كانت الصدفة فى الزمن القديم حقيقية. ربما كان العالم صغيراً، فالأحباب لم يضيعوا فى زحام الحياة. الآن الأحباب يضيعون فى نفس البلد وفى نفس المكان، أين هو الآن؟!

الدموع لا تصمت، هل أردت بهذا الزواج أن أنساه؟ لكن. هل بمثل هذا النوع من الزواج استطيع أن أنساه؟! احتضنتنى الأشواق. وأبكانى الفراغ. واعتصرتنى الوحدة. أنا أعرف سبب آلامى واكتئابى، والمعرفة هى أول الطريق للخلاص من المشاعر المحبطة، لكن من أين أبدأ؟!..

وخرجت إلى الهواء الطلق

لا أدرى إذا كان صديقه صاحب الشقة المفروشة التى عشنا فيها أياماً طلبة فى البلد الذى يعمل به وأخبره عن محادثتنى معه !

لا أدرى إذا كان شعر مثلى أن هذه العلاقة تحمل الافتقاد أكثر من الحب ، وإننا نسير فى طريق مسدود !

لا أدرى إذا كان خاف أن يكتشف أحد هذا الزواج ويخبر زوجته أو تكون قد علمت به فعلاً ! . .

لا أدرى سوى أنى خلعت الدبلة الماسية ووضعتها بجانب ورقتى الزواج حتى أرجعها له عندما آراه وأمزق الورقتين معه مر أكثر من شهر لم يطلبنى من البلد الذى يعمل به ، ولم أعرف عنه شيئاً إلى أن حدثتنى صديقتى التى شهد زوجها على ورقتى الزواج وقالت لى إنها شاهدت الزوج «العرفى» فى محل زهور تعجبت وقلت لها لننتظر لنرى ماذا سيكون .

فى المساء جاءنى صوته ويبدو أنه شاهد صديقتى وهى تنظر إليه خلال زجاج محل الزهور فحدثنى .

إعتذر عن عدم محادثتى فور وصوله لأنه جاء مع زوجته لمدة يومين لحضور حفل زفاف ابنه أختها ، ويسيافران مساء الغد .

قلت له لا داعى للاعتذار وأعربت له عن رغبتى فى مقابلته صمت قليلاً ثم حدد اللقاء فى صباح اليوم التالى مبكراً. أخذت الورقتين والدبلة الماسية وذهبت إليه فى مكان لم أدخله من قبل فى ركن من فندق كبير كأنه معزول عنه.

رحب بى بتحفظ كأن عينى زوجته ترصدان حركاته من خلال المصباح الكهربائى المعلق علي الجدار الخشبى خلف رأسه. كدت أضحك من اضطرابه ونظراته التى تتعلق بباب هذا المكان السرى طلب عصير ليمون وماء. أخرجت الورقتين والدبلة الماسية من حقيبتى ووضعتهم أمامه على المنضدة. نظر إليهم متعجباً وسألنى ماذا أعنى؟!

قلت له: «لنمزق الورقتين ولتأخذ دبلتك الماسية. فأنا لا أحتمل مثل هذا الزواج وأنت أيضاً، بدليل الذى حدث خلال هذين اليومين واضطرابك الآن لوجود زوجتك فى القاهرة وليس فى هذا الفندق».

حاول أن يّبرر تصرفه واتهمنى بعدم الصمود أمام هذه المشكلة التافهة التى تواجهنا الآن.

قلت.. فما بالك من مشكلة ليست تافهة؟

قال إنه سيحضر الشهر القادم ليمضى معى أسبوعين وتكون الشقة المفروشة خلت من سكانها وأنبنى لأنى طلبت من صديقه أن يؤجرها. قال إنه سيهدينى سيارة جديدة بدلاً من سيارتى القديمة

زادت ضحكاتي الداخلية في نفسي ومنها، وأصررت على إنهاء العلاقة بهدوء، مزقت الورقتين إلى قطع صغيرة جداً ووضعتها في منفضة السجائر سكبت عليها ماء من الكوب أمامي. رفض أن يأخذ الدبلة الماسية. قال لتبقى تذكاراً، وساد الصمت بيننا لحظات.

قال: «يسعدني وجودك في حياتي على أية صورة تختارينها. أن تقابليني من وقت لآخر وتجلسي أمامي فقط. أن أراك من بعيد، لا أريد منك شيئاً. كنت أتمنى أن تكوني لي كلية.. لكني فكرت وأنا بعيد عنك ألا أكون أنانياً لذلك لم أتصل بك، تركت لك حرية الاختيار».

قلت له إنه إنسان نبيل، وجميل أن نفترق وكل منا يحمل للآخر مشاعر جميلة.

سلمت عليه وخرجت من المكان المغلق، المغلفة جدرانه بالخشب وزجاج نوافذه مطلي بألوان داكنة حتى أنهم يضيئونه في الصباح بالمصابيح الكهربائية، خرجت إلى الهواء الطلق.

تعجبت أنه اختار هذا المكان للقائنا، كأن شيئاً في داخله اختاره دون أن يدرى لعيبر عن حياتنا معاً في الظلام بعيداً عن عيون الناس.

بالرغم من حرارة الجو في هذا الصباح شعرت بانتعاش في الهواء الطلق، وقدت سيارتي إلى حيث موعدى مع صديقتي المقربة في النادي الرياضي الذى تشترك فيه.

تركت السيارة خارج النادى وسرت استنشق الهواء المنعش بشعور من الحرية.

غريبة.. إنه نفس الشعور الذى شعرت به يوم طلقت من سنين طلاقاً رسمياً ومعروفاً.

اليوم أنا مطلقة للمرة الثانية طلاق غير رسمي وغير معروف. نظرت إلى أعالى الشجر، إلى السماء، إلى الطيور، هل لهذه الدرجة أحب حريتى؟!

عندما خفضت رأسى وجدت أمامى الرجل الذى أحببته وخدعنى. شعرت بغيظ من يده التى امتدت لتسلم علىّ. لم تمتد يدى له بالسلام. بدون شعور وجدتها تسقط بجانبى فى استياء، وخرجت التحية من بين شفتى باردة. لاحظ استيائى فلم يزد عن السلام قلت لصديقتى إننى قابلت هذا الرجل الذى خدعنى هنا قالت: «المخادع يُخدع ولو بعد حين».

نظرت إليها متسائلة فقالت: «طردته زوجته».

رحلة للنسيان

ظلت كلمات صديقتى تزن فى أذنى «الخادع يخدع ولو بعد حين».
لقد قلت له يوماً إن الذى يحبك بصدق ويعطيك بصدق وتخدعه ينقلب هذا الحب إلى لعنة عليك. يومها ضحك. ومرت الأيام والشهور وأنا أراقبه من بعيد، أعرف أخباره من بعيد، وأدارى جرحى فى صمت، وتحققت كلماتى. خدعته المرأة التى تزوجها طردته من حياتها. غريبة إننى لا أشعر بالشماتة فيه، ولا بالأسف لما أصابه، وكأنه كان بطلاً فى قصة قرأتها لكاتب لا أعرفه والقصة فى زمن ومكان بعيدين عنى. كأنى لم أكن بطلة ماسأوية فى هذه القصة ولم أعشها! وأغلقت الكتاب بعد أن قرأتها شعرت براحة عجيبة خففت عنى شعور الفشل بطلاقى الثانى غير الرسمى!

فرح والداى بنهاية هذا الزواج العرفى، وقال أبى إن أخى تحدث من فرنسا فى الليلة السابقة وأخبره أبى إننى فى حاجة إلى اجازة أقضيها عنده رحب أخى وطلب إسراعى بالذهاب إليه، فهم أبى ترددى فقال إنه سيساهم فى ثمن التذكرة. طلبت اجازة من عملى وأعددت كل مستلزمات السفر وكنت فرحة لهذا التغيير الذى سأقوم به لأغسل نفسى تماماً من كل الهموم التى لحقت بها لأعود

معافية بإذن الله واستطيع أن أعيش حياتى. طلبت أخى لأخبره عن موعد الطائرة فى يوم أحد حتى يكون فى اجازة. فرح بزيارتى له أخيراً وأخبرنى أن أحضر ملابسى ثقيلة لأنى لن أحتمل جو الخريف الأوروبى.

استقبلنى أخى بالأحضان. واستقبلتنى باريس بالأمطار. جلست بجواره فى سيارته الصغيرة نتحدث بجدية أحياناً ويمرح أحياناً لنتعرف على بعضنا بعد خمس سنوات من فراقنا زارنا خلالها مرتين. مشوار طويل إلى أن وصلنا إلى منزله. عمارة قديمة ومجددة من أربعة طوابق يسكن فى شقة فى الدور الثالث وليس بالعمارة مصعد والسلالم مغطاة بسجاد / حمل أخى حقيبتى الكبيرة وحملت الصغيرة. صعدت خلفه. كنا قبل وقت الظهيرة وكانت المرأة حارسة المنزل تنظف سجادة السلم بمكنسة كهربائية. رحبت بى فى بلدها وقالت إنها أحبت المصريين من خلال أخى، هكذا ترجم لى أخى كلماتها التى لم استطع التقاط معظمها. قادنى إلى حجرة صغيرة قال إنها حجرة للضيوف. فالشقة تتبع مكان عمله وأحياناً يطلبون منه استضافة أحد وهذا يحدث قليلاً. سألنى أن أعلق ملابسى واستعد للخروج لنتناول طعام الغذاء فى الخارج كما يفعل فى يومى الاجازة، وقبل أن أطوف ببقية الشقة وأرى ملابس نسائية وأدوات زينة أخبرنى أن لذيه صديقة فرنسية تأتى إليه أحياناً وتمضى معه عدة

أيام وسنقابلها في المطعم لأتعرف عليها، وهي تجيد الإنجليزية فاستطيع التحدث معها وستكون مرافقتي في أوقات فراغها من عملها لتفرجني على باريس لأنه لن يستطيع أن يكون في صحبتي طوال الوقت لانشغاله بعمله. شعرت بشيء من الإحباط.. في سيارته، والجو رمادي والمطر لا يصمت ولا ينهمر مرة واحدة وينتهي وشعور الإحباط يزداد في نفسي التفت إلى أخي وسألني بمرح ما حكاية زواجي العرفي الذي أفزع الدنيا؟!

حاولت أن أكون مرحة مثله وحكيت له باختصار الحكاية، قال بجدية: «المجتمع هنا يختلف. يعني هنا صديقتي امرأة مطلقة ولم تنجب من زواجها مثلك، تعيش معي من وقت لآخر لا تختبئ من أحد ويعرف والداها بعلاقتنا ويدعواني في منزلهما، وحارسة البيت ترحب بها لأني استقبلها وحدها، وإذا كنت كل يوم أحضر امرأة مختلفة لقدمت في شكوى وطلبت طردي من المنزل.. صديقتي تجرب الحياة معي لتختار بحرية ونقرر بحرية هل نتزوج.. أم.. لا.. أنا لا أنوي الحياة دائماً بعيداً عن بلدنا سأعود يوماً. وهي لابد أن تقرر إذا كانت تستطيع الحياة معي في أي مكان.

كان أخي يتحدث بهدوء وهو يقود سيارته وأنا استمع بدون أن أعلق، فهل سأقوم بمقارنة سخيفة بين مجتمعنا ومجتمعهم؟! كأنه يريد أن يقول لي لماذا فعلت هذه الضجة بزواجي العرفي وأزعجت

والدى. ولماذا لم أفعل مثل المرأة الفرنسية؟! ربما شعر بضيقى من المقارنة فقال ضاحكاً: «ألم تجدى ياأمانى بين رجال مصر سوى هذا الرجل المتزوج لتحبيه؟!». لم أرد. فتأسف لى. وصلنا إلى المطعم. صعدنا عدة درجات خشبية. أشارت لنا امرأة ناضجة جميلة فى مثل عمرى وقامت تستقبلنا بمرح. شدت على يدى وهى تقول بالإنجليزية إنها مسرورة لمقابلتى وتود أن نكون صديقتين.

قال أخى وهو يشير إليها: «مارى». وقالت هى: «طبعاً أعرف أمانى».

فوق موجة يأس عالية

شعرت بغربة في باريس، فصديقة أخي لم تستطع التفرغ لصحبتي، وقت فراغها من عملها مع وقت فراغ أخي في يومي الأجازة الاسبوعية. في الصباح يحدد لي أخي الأماكن التي أزورها. يرسم لي خريطة لأتحرك وحدي. والتقي به وبصديقته وقت العشاء. جو الخريف الأوروبي حرك اكتئابي. قلت يائسة في نفسي إنني دائماً اختار الطريق الخطأ، لكن لابد أن أستفيد من خطئي في الحضور هنا لأزور المتحف الشهير. لأسير في طرقات المدينة، لأشاهد عالماً جديداً، في وحدتي تساءلت: كيف ستسير حياتي هل سأبقى هكذا وحيدة؟!

وجدت نفسي فوق موجة عالية من موجات اليأس التي تنتابني. عندما يكتمل اليأس ويداهمني هكذا أحب أن أكون فوق موجة عالية، ربما تقذفني إلى شاطئ أمان، وربما تغرقني تماماً. وكان أملي شديداً ويائساً أيضاً في ذلك اليوم. سرت في طرقات المدنية بلا هدف، دخلت مكتبة اشتريت كتاباً ومجلة. وقفت في مفترق طرق، واخترت طريقاً بلا هدف. وكأن موجة اليأس الشديدة قذفتني إلى شاطئ أمان تمنيته بيأس. نظرت إليه وكنت أنوى أن أحييه تحية عابرة

لكنه وقف ليسلم على قال بدهشة: «الاستاذة أمانى.. غير معقول، ما هذه الصدف الجميلة»؟!

لقد تعرفت عليه منذ عام تقريباً فى النادى الرياضى الذى أذهب إليه مع صديقاتى. جلس معنا يومها ليحكى لإحدى صديقاتى التى تعرفه عائلياً، عن مشكلته مع زوجته وأنه فى طريقه إلى الطلاق. يومها أبدى إعجاباً بعملى. يومها ألقى لى بطوق نجاة لأخرج من أمواج البحر اليائس. لم التقط الطوق، لم ألتفت له. ولم أقابله بعدها. وهاهى موجة اليأس التى كنت فوقها ذلك اليوم فى باريس تقذفنى فى طريقه ويحتوينى بشوق تعجبت له. ويصبح الطريق غير الهادف مقصداً. ونجلس معاً فى مقهى نتحدث ساعات طويلة. ذكرنى بذلك اليوم الذى جلس معنا فى النادى وحديث عن مشكلته مع زوجته ذلك الحديث الذى لم استمع له تماماً. قال إن الطلاق وقع بينهما منذ عام تقريباً. سألته عن تلك المشكلة.

قال: «تزوجت وأنا فى الثانية والأربعين من عمرى، تأخرت فى الزواج لأنى كنت مهتماً بعملى. قمت بدراسات عليا فى بلدنا وفى الخارج فى العلوم الهندسية للاليكترونيات. وليس بسبب عدم استطاعتى مادياً للزواج. أهلى ناس مبسوطين والحمد لله. المهم تزوجت بنت تصغرنى بخمسة عشر عاماً، مدرسة علوم رياضية فى مدرسة ثانوية. تعرفت عليها خلال العائلة وقلت إن دراستها العلمية

الرياضية تناسب دراستى ونستطيع التفاهم. قبل أن أخطبها كانت مقدمة للعمل فى بلد عربى وسألتها أن تصرف نظرها عن السفر. فأنا بعملى ودخلى من إرث والدى ودخلها من عملها نستطيع أن نعيش حياة مريحة فى بلدنا، وفعلاً كنت قد اشتريت شقة معقولة فى حى إلى حد ما هادئ. هى وافقت فى أول الأمر على اقتراحى بعدم السفر. وتم زواجنا. لكن عندما ظهرت نتيجة الإعارات للمدرسين وكان اسمها أول الاسماء جن جنونها وأصرت على السفر. رجتنى أن أسافر معها كمرافق أو أجد عملاً هناك. يابنت الحلال إننا فى غنى عن هذا السفر، لكن طموحها المادى كان بلا حدود. فبدلاً من أن نملك شقة لماذا لا نملك عمارة؟! ولنملك سيارة كبيرة بدلاً من الصغير.. و... و.. اندفعت وراء احلام طموحها المجنون فكنا فى أول الزواج ولم أرد أن أفقدها. سافرت معها ووجدت عملاً فى اختصاصى هناك. وانجبنا طفلة جميلة، لم استرح فى العمل هناك ولم يناسب صحتى المناخ الحار المتقلب، لكنى بقيت هناك من أجل طفلتى التى أنجبتها فى هذه السن الكبيرة. مرضت طفلتى فى العام الثانى من عمرها، كان مرضها غريباً وفى أول الأمر غير معروف. تشفى قليلاً ثم تمرض وهكذا لمدة ثلاث سنوات، أخذناها إلى الأطباء هناك وفى بلدنا وجئنا بها هنا لأطباء فرنسا، وفى عمر الخامسة ماتت طفلتى، لم احتمل الحياة فى البلد العربى، عدت إلى القاهرة على أن تلحق بى

زوجتى بعد إنتهاء العام الدراسى هناك، ولا داعى لسفرها مرة أخرى ووافقت، لكن عندما جاءت إلى القاهرة فى الاجازة أخبرتنى أن أمامها عرضاً مغرياً للعمل هناك وعليها أن تستقيل من وزارة التعليم المصرية. فى تلك السنوات الخمس التى عشتها مع زوجتى تحملت الكثير من تصرفاتها وأخلاقها من أجل طفلتى، أشياء لا داعى لذكرها. وعندما أخربتنى بهذا العرض المغرى لعملها هناك خيرتها بين العودة إلى بلدنا أو الطلاق فأختارت الطلاق.

وهكذا ياعزيزتى حدث الطلاق منذ عام تقريباً... إيه ياأمانى أعرف أنك كنت مطلقة. هل تزوجت؟».

كنت سارحة فى قصته التى يحكيها وفوجئت بسؤاله فأجبته مباشرة... «لا».

شاطئ الأمان

حدثت أخي عن الرجل المصري الذي قابلته وكنت قد تعرفت عليه من قبل في القاهرة، واستعداده أن يكون بصحبتي لمشاهدة معالم باريس، فمهمة عمله لا تأخذ كل وقته، وقد جاء منذ شهرين وسيعود إلى بلدنا بعد أسبوعين. وهو قد عاش في فترة سابقة في هذه المدنية ويعرفها جيداً. حدثت أخي عن ظروف الرجل الاجتماعية التي حكاها لي، وسألت صديقة أخي أن ترشدني إلى محل «كوافير» لأصفف شعري وترشدني إلى محل ليس غالياً لأشتري رداء جديداً!

فرح أخي وصديقته لخروجي من حالة الضيق التي انتابتني في الاسبوع الذي قضيته وحدي تقريباً، وقرر أخي أن يدعو هذا الرجل لصحبتنا في عطلة نهاية الاسبوع. كانت فرحتي الظاهرة بوجود صحبة لي في مدينة غريبة، وفرحتي العميقة غير الظاهرة بشعور غريب أن هناك شيئاً سيربطني بهذا الرجل. تعجبت إنه يلاحظني من زمن بينما لم أره سوى في ذلك اليوم الذي جلس معنا في النادي. قال إنه شاهدني كثيراً في النادي مع صديقاتي عندما كان يحضر في إجازاته الصيفية، وأعجب بشخصيتي عندما جلس معنا، كما أعجب من قبل بما أقدمه في البرنامج الثاني في الإذاعة وعلم من صديقتي

التى يعرفها عائلياً ظروفى الاجتماعية. سألنى عن الرجل الذى يعمل فى بنك كبير فقد شاهدنى معه فى النادى الرياضى. وفى مكان آخر لا يذكره.. الماضى نحسبه يموت بشفائنا منه. لكنه مثل الأسماك عندما تموت تطفو على السطح لقد أقسمت أن أنكره من حياتى كما أنكرنى وهكذا أنكرت للرجل علاقتى به...

ماذا تفيد الصراحة فى ذكر ذلك الحب والعذاب المهين الذى أخفيته عن الخلق. لقد أخذت جزائى فى ذلك العذاب، وتطهرت بالألم وتغلبت على الحزن.

سألنى إذا كنت أسكن فى القاهرة على النيل. ولما نفيت، قال إنه شاهدنى مرتين أخرج من عمارة، قال عنوانها وفوجئت فهى العمارة التى عشت فيها أيام الزواج السرى! ياسماء لماذا هو بالذات من سكان القاهرة العظمى يرانى؟! قال إن خالته تسكن فى العمارة المجاورة وكان يعيش معها عدة أيام عندما شاهدنى من الشرفة. قال إنه وقتها قرر أن ينتهز فرصة وجوده فى الطريق ليحدثنى عندما يرانى لكنه سافر. وابتسم وهو يقول بشيء من التعجب والسرور.

وها هو يقابلنى فى الطريق فى باريس وليس فى طريق النيل. ثم قال بشئ من الجدية: «يبدو أن الإنسان عندما يكون لديه أمل حقيقى ورغبة صادقة فى نفسه لابد أن تتحقق».

أمام صدق أحاديثه ووضوح مشاعره لم استطع إنكار سر تلك العمارة على النيل. ضحك بصوت مرتفع وقال أمام دهشتى لضحكاته إنه كل يوم يكتشف فى شيئاً جديداً. واليوم اكتشف إننى خفيفة الظل... تعجبت من تعليقه فقال بجدية إن شخصيتى وطبيعتى كما فهمها لا تقبلان مثل هذه الزيجة السرية ولابد إننى فعلتها كنوع من المغامرة للترويح عن نفسى. وضحكت.

ويقول كلمات نسيت سماعها الأذن، كأنها كانت صماء، وعاد إليها السمع. ويخفق القلب بخفقات نسى وجودها، ويرتفع دخان الأحلام القديمة فيصنع ضباباً أمام العينين، لابد من إزالة الدخان حتى ترى عيناى بوضوح، وحتى لا يضل الأمل الراقد فى سكون من صيحات يقظته. وحتى لا يكون الشعور بالحب مثل الحمل الكاذب، ووقت الولادة يكون مجرد هواء فى فراغ، لكن هذا الشعور الذى أشعر به ليس حملاً كاذباً. وهذا الرجل بكل مواصفاته وصفاته ومشاعره ومعاملته لى جاء محققاً لحلم أكثر من الحلم نفسه. مطابقاً لأمل أكثر من الأمل. وكأنى فى دعواتى كنت مؤمنة حتى فى ساعات اليأس المريرة إنها ستجاب، وإن أحلامى ستحقق بصورة أو بأخرى، ولم أكن أطمع فى أن تتحقق على هذه الصورة المطابقة للحلم وأكثر.. ركعت للسماء أشكرها. لابد إنها غفرت لى ما ارتكبته فى حق نفسى من شر وظلم، فلماذا دفعتنى إلى هذا البلد لألتقى به؟!

والكلام لا يتوقف بيننا. كنت. وكان نحكى بلا خوف من ماض يهددنا. أو حاضر يفزعنا.. أو مستقبل يخيفنا. نحكى عن سنوات عمرنا. كيف صنع كل منا حياته، الكلام لا يتوقف بيننا. كنت وكان. وأخيراً أنا وهو نلتقى على أرض صلبة صنعناها من التعب والألم. وأمل فى صحبة متوافقة. سألته سؤالاً مباشراً.. «ماذا تريد منى؟» قال بجدية «أتزوجك».

عقدت لسانى الدهشة فنظرت إليه واجمة.

مونولوج

نعم ياسيدتي.. لكل رجل مطلق امرأة مطلقة.. هذه الحقيقة التي قالتها يوماً الطبيبة النفسية ولم تعجبك. وبالرغم من هذا الحب الهادئ الذي يتسلل إليك والشعور العميق الحقيقي تجاه هذا الرجل. حاولت مراوغته بتأجيل طلبه للزواج حتى تتعرفا على بعضكما أكثر في بلدكما، فربما الشعور بالوحدة في بلد غريب قرب بينكما. لكن الرجل كان صادقاً في طلبه وقال لك كيف لا تفهمان بعضكما وتعرفان ماذا تريدان وأنتما في هذا العمر؟! فهو في أول عمره الخمسيني وأنت في عمرك الأربعيني.

سيدتي.. تذكري نظرة الفرح في عيني أخيك عندما أخبرك أنه طلب أحد اصدقائه في القاهرة ليسأل عن هذا الرجل الذي تقدم لك، وجاءه الرد في اليوم التالي مطمئناً ومشجعاً حتى إنه طلب والديكما في مساء ذلك اليوم ليخبرهما بخطوبتك التي قرر الاحتفال بها قبل عودتك.

سيدتي.. عندما تمر بك السنون تذكري ذلك اليوم الذي قابلت فيه هذا الرجل. تذكري حالتك النفسية المحبطة وأنت فوق موجة من موجات يأسك العتيق. تذكري كلماتك اليائسة لنفسك إن عليك أن

تتقبلى وحدتك. تذكرى سيدتى عندما سرت فى طرقات باريس بلا هدف وقادك قدرك إلى ذلك الطريق الذى قابلت فيه هذا الرجل، تذكرى سيدتى عندما لبيت دعوته إلى مقهى غير معترضة وغير مرحبة، وامتدت جلستكما ساعات طويلة فى أحاديث لا تنتهى. تذكرى سيدتى عندما عدت من مقابلته منتشية بالحيوية غير مصدقة حالتك التى تبدلت من الخمول اليائس إلى الحيوية بالأمل عندما تتذكرين سيدتى ذلك اليوم، بل والأيام السابقة عليه والأسابيع والشهور والسنين، أقسمى سيدتى ألا تغضبى هذا الرجل وأن تسعديه كما أسعدك.. سيدتى الإنسان لا يقابل كل يوم آخر يتوافق معه ويحبه. وأنت تعرفين هذا جيداً وقاسيت سنين طويلة من الوحدة وأنت مع من تحبين أو تتزوجين!!

سيدتى.. إننا لا نتخلص من ماضينا تماماً.. وكما تعرفين لا يوجد شيء تماماً.. وإذا كنا نشكر الحاضر على ما يعطيه لنا إلا إننا أحياناً لا نعيشه تماماً.. وإذا كان التقاء اثنين فى عمر كبير بعد سنوات طويلة من التجارب له مميزاته الكثيرة إلا أن لكل منهما ماضيه الذى لا يستطيع التخلص منه تماماً. لا تسمحى لهذا الماضى أن يعكر عليك صفو حياتك إذا خرج لك فجأة فى الحاضر أو إذا امتزج مع تخيلاتك المحبطة التى لا تستطيعين التخلص منها تماماً.

سيدتي.. عندما تتفتح زهور الأشجار وتأتيك نسمات الربيع بإلحاحها العجيب لتذكرنا بسنوات عمرنا الوردية، ربما تتذكرين آمالك التي كانت عظيمة، ورغبتك التي كانت قوية للحب وللحبيب وتتساءلين أين ذهبت تلك المشاعر؟! وربما تتكدرين من ذكريات الفشل القديم، لكن لا تندمي، فكان لابد من اجتيازك طرق كثيرة حتى تعرفي الطريق السليم. سيدتي.. إذا وهبتنا الحياة حباً جديداً، لا داعي لتعذيب أنفسنا بذكرى حب مضى.. سيدتي.. الرجل الذي في حياتك الآن ليس له ذنب في اضطراب حياتك السابقة، فلا تحاسبيه على ما فات، فهو لم يكن في حياتك عندما كان فيها الاضطراب. تنبهي سيدتي عند غضبك لهفوة من هفوات الرجال العابرة ألا تضيفي غضبك القديم على غضبك الحديث وتحمليه ذنب كل عذاباتك السابقة.

سيدتي.. أنت الآن في حالة حب مختلف عن قصص حبك القديمة لنسميه حباً ناضجاً. حب آتي إليك صادقاً هادئاً ليعيش معك. لم يأت إليك مثل الصاعقة ليحرقك أو ليشعرك باضطراب، ولم يأت إليك مخادعاً ليخذلك.. سيدتي.. عندما تمر بك السنون تذكري يوم عودتك إلى الوطن ولأول مرة في حياتك لا تخافي السفر بالطائرة وأنت تجلسين بجانب هذا الرجل، ويمسك يدك التي بها «دبلة» الزواج بيده التي بها «دبلته» هاتان الدبلتان الذهبيتان هدية

أخيك لكما، وشعرت باطمئنان عجيب وهو يضمك إلى صدره كأن لا شيء في العالم يمكن أن يزعجك.

عندما تتذكرين ذلك المساء سيدتي..

اقسمي ألا تغضبي هذا الرجل وأن تشعريه بالأمان كما جعلك تشعرين به.. تذكري كل هذا سيدتي وأنت تغلقين كراسة يومياتك..

يوميات امرأة مطلقة.

زينب صادق

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٨٩٢ / ٢٠٠١

I. S. B. N 977 - 01 - 7374 - 6